من أسرار تعدية الفعل
في القرآن الكريم

د. يوسف بن عبد الله الأنصاري
الأستاذ المشارك بقسم البلاغة والنقد
كلية اللغة العربية- جامعة أم القرى

ملخص البحث

يتكون هذا البحث : من مقدمة وتمهيد، وفصلين، تناول الباحث في المقدمة أهمية البحث، وفي التمهيد حدد مفهوم التعدية عند النحاة، وفي الفصل الأول تناول جهود العلماء في دراسة تعدية الفعل، وفي الفصل الثاني تناول بعض الأفعال التي وردت في القرآن متعدية بحروف الجر وكشف عن الأسرار البلاغية من وراء تنوع تعدية الفعل الواحد بحروف الجر المتعددة.

ويهدف هذا البحث إلى إبراز بلاغة القرآن الكريم في تنوع تعديته للفعل بحروف الجر المختلفة.

ومن أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة:

أن الفعل حين يعدى بحروف الجر المتعددة يكتسب معها من الدلالات البلاغية التي تتنوع بتنوع معاني حروف الجر الداخلة عليه.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن فأعجز الثقلين بفصاحة بيانه، والصلاة والسلام على مـــن أعطي جوامع الكلم فأسر القلوب بحلاوة بيانه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه المتمسكين بسنته وقرآنه وبعد.

فما زالت بلاغة القرآن ميدانا فسيحا للبحث والدراسة تنتظر جهود الباحثين لإبراز ما تحتويه أساليب القرآن من روائع البلاغة وأسرار الإعجاز.

ولا شك أن بحوث البلاغة التطبيقية التي تتخذ من النصوص البليغة كالقرآن الكـــريم والبيان النبوي والشعر العربي الرصين ميدانا لها تعيد للبلاغة العربية وجهها المشـــرق الناضـــر، وتؤكد في الوقت ذاته على قدرة البلاغة العربية في دراسة النص الأدبي، واستنطاقه بحثـــا عـــن جوانب الإبداع فيه، وغوصا لإدراك مقاصد النص وأسراره المتنوعة.

وهذا البحث الذي بين يديك يعد من بحوث البلاغة القرآنية، جعلت عنوانه "من أسرار تنوع تعدية الفعل في القرآن الكريم" هدفت من خلاله إلى إبراز بلاغة القرآن الكريم في تنـــوع تعديته للفعل الواحد بحروف الجر المختلفة.

وغير خاف أن لتعدية الفعل بحروف الجر في القرآن الكريم أهمية عظمى وأثرا كـــبيرا في إبراز مقاصد التعبير القرآني، بل إن الوقوف على أسرار الإعجاز في القرآن يتوقف على أمـــور منها : إدراك دلالات حروف الجر وما تشيعه على سياقاتها من الدلالات والإيحاءات التي تحتاج من الدارس للوقوف عليها إلى مكابدة ومعاناة وإطالة تأمل حتى يستطيع النفاذ إلى ما تشي بـــه حروف الجر من أسرارها المتنوعة التي تخلعها على الأفعال الداخلة عليها.

وتعود أهمية هذا الموضوع إلى أمرين:

أولهما: لارتباطه بفقه الدلالة التي يعول في إدراكها على السياق وإطالة التأمل وإدامة النظر فيه للوقوف على ما توحي به الألفاظ من خفي الدلالات التي لا تسفر عن وجهها وتكشف لثامها إلا لذي حس مرهف وذوق مدرب.

ثانيهما: لدقة مسلكه وغموضه وخفائه على بعض العلماء، من ذلك ما ذكره الإمام الخطابي(ت ٣٨٨هـ) عن "مالك بن دينار قال: جمعنا الحسن لعرض المصحف أنا وأبا العالية الرياحي ونصر بن عاصم الليثي وعاصما الجحدري، فقال رجل يا أبا العالية قول الله تعالى في كتابه ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ {الماعون٥} ما هذا السهو؟ قال الذي لا يدري عن كم ينصرف، عن شفع أو عن وتر، فقال الحسن: مه يا أبا العالية ليس هذا بل الذين سهوا عن ميقاتهم حتى تفوتهم، وقال الحسن: ألا ترى قوله عز وجل ﴿عن صلاتهم﴾، ويضيف الخطابي قائلا " قلت: وإنما أتى أبو العالية في هذا حيث لم يفرق بين حرفي عن وفي، فتنبه له الحسن فقال: ألا ترى قوله ﴿عن صلاتهم﴾ يؤيد أن السهو الذي هو الغلط في العدد إنما يعرض في الصلاة بعد ملابستها، فلو كان هو المراد لقيل: في صلاتهم ساهون، فلما قال ﴿عن صلاتهم﴾ دل على أن المراد به الذهاب عن الوقت[(١)]".

ومن ذلك ما ذكره الخطابي في تخطئة العلماء لابن قتيبة الدينوري قائلا " ونظير هذا ما قاله القتبي في قوله تعالى: ﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين﴾ {الزخرف ٣٦}. زعم أنه من قوله: عشوت إلى النار أعشو إذا نظرت إليها، فغلطوه في ذلك وقالوا: إنما معنى قوله: ومن يعرض عن ذكر الرحمن، ولم يفرق بين عشوت إلى الشيء وعشوت عنه، وهذا الباب عظيم الخطر، وكثيرا ما يعرض فيه الغلط، وقديما عني به العربي الصريح فلم يحسن ترتيبه وتنزيله"[(٢)].

ومن ذلك ما قاله البطليوسي (ت٥٢١هـ) عند حديثه عن "على" بقوله: "اعلم أن أصل "على" العلو على الشيء وإتيانه من فوقه كقولك: أشرفت على الجبل، ثم يعرض فيها إشكال في بعض مواقعها التي تتصرف فيها، فيظن الضعيف في هذه الصناعة أنها قد فارقت معناها، فمن ذلك قول القائل: زرته على مرضي، وأعطيته على أن شتمني، وإنما جاز استعمال "على" هاهنا ، لأن المرض من شأنه أن يمنع من الزيارة ، وكذلك الشتم يمنع المشتوم من أن يعطي شاتمه شيئا ، والمنع قهر للممنوع واستيلاء عليه ، فهي إذن لم تخرج عن أصلها بأكثر من أن الشيء المعقول شبه بالشيء المحسوس فخفي ذلك على من لا دربة له في المجازات والاستعارات[(٣)]".

ويتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وفصلين على النحو التالي:

الفصل الأول: جهود العلماء في دراسة تعدية الفعل

الفصل الثاني: من أسرار التعدية في القرآن الكريم

أسأل الله الكريم التوفيق وأن يرشدني إلى طريق الهداية والصلاح، وأن يسدد خطاي فيما حسنت فيه نيتي وأن ينفع بهذا العمل إنه أعظم مسئول وبالإجابة جدير، والحمد لله أولا وآخرا.

تمهيد : مفهوم التعدية عند النحاة

الفعل بين لزومه وتعديته عند النحاة

للفعل في الدراسات النحوية تقسيمات متعددة منها تقسيمه من حيث الإعراب والبناء إلى معرب ومبني، ومنها باعتبار زمنه إلى ماض وحاضر ومستقبل ومنها باعتبار تعديه ولزومه إلى لازم ومتعد، ويهمنا منها التقسيم الأخير لأنه موضع عناية هذه الدراسة.

واللازم هو الفعل الذي يكتفي برفع الفاعل ولا ينصب بنفسه مفعولا به أو أكثر وإنما ينصبه بمعونة حرف جر أو غيره مما يؤدى إلى التعدية(٤).، والمتعدي: هو الفعل الذي ينصب بنفسه مفعولا به أو اثنين أو ثلاثة من غير أن يحتاج إلى مساعدة حرف جر أو غيره مما يؤدى إلى تعدية الفعل اللازم (٥).

وغير خاف أن لكل حرف من حروف الجر معناه الذي يباين به غيره، وحين تدخل حروف الجر على الفعل لتوصل أثره في الاسم المعدى يكتسب معها الفعل من الدلالات التي تتنوع بتنوع معاني حروف الجر الداخلة عليه، بل حسبك أن تعلم أن حرف الجر يستطيع أن يقلب دلالة الفعل إلى النقيض فيصير للفعل الواحد أكثر من معنى بسبب اختلاف دلالة حرف الجر الذي تعدى به الفعل، وفي هذا الصدد يقول الراغب (ت٤٢٥ هـ) "فإذا قيل: رغب فيه وإليه يقتضي الحرص عليه قال تعالى ﴿ إنا إلى ربنا راغبون﴾{ التوبة ٥٩} وإذا قيل: رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه نحو قوله تعالى ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم﴾.{البقرة ١٣٠} (٦)"

أرأيت كيف انقلبت دلالة الفعل إلى النقيض فحين عدى بإلى دل على الحرص عليه وحين عدى بحرف المجاوزة "عن" دل على عدم الرغبة والزهد فيه

وحين نتتبع مواطن ورود هذا الفعل في القرآن الكريم نجده فد جاء معدى بالباء وفي وعن فاكتسب من المعاني المختلفة بما خلعته عليه حروف الجر من معانيها، " فهو حين عدى إلى

المرغوب بفي الظرفية التي تقتضي أن المرغوب احتوى الرغبة كما يحتوى الظرف على المظروف، أنبأ ذلك عن معنى الحرص وكأنه أفرغ كل رغبته فيه، وحين عدى بالى التي تدل على انتهاء الغاية، أفاد انصراف الراغب إلى مرغوبه، وتوجهه إليه، وانصرافه عما عداه ﴿إنا إلى ربنا راغبون﴾ {التوبة٥٩} وحين عدي بحرف المجاوزة، دل بما اكتسبه من معنى هذا الحرف على الانصراف عن الشيء وتجاوزه كقوله تعالى ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم ﴾ {البقرة ١٣٠} وحين عدي بالباء التي تفيد الإلصاق كما في قوله تعالى ﴿ ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾{التوبة ١٢٠} دل على الضن والبخل بها، لأن إلصاق الرغبة بالأنفس يدل على شدة الارتباط بها وعدم التفريط فيها ، فهذه المعاني التي تواردت على فعل الرغبة إنما اتسع لها بحكم ما اكتسبه من معاني الحروف التي وصل بها، وما أشاعته فيه من دلالاتها (٧)" .

وهذا الفعل "بعث" عدي في القرآن الكريم باللام وإلى وعلى وفي ومن فتجدد له من المعاني بتنوع معاني حروف الجر الداخلة عليه التي يعين على إبرازها السياق العام والمقام،فحين عدي بمن في قوله تعالى ﴿ ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات﴾ {يونس ٥٤} دل على أن ابتداء بعث الرسل إلى أقوامهم كان بعد نوح عليه السلام.

يقول الزمخشري (ت٥٣٨هـ) "من بعده– أي– من بعد نوح ﴿ رسلا إلى قومهم﴾ يعني هودا وصالحا وإبراهيم وشعيبا (٨) ".

ونظير الآية السابقة قوله تعالى ﴿ ثم بعثنا من بعده موسى بآياتنا إلى فرعون وملئه﴾ {الاعراف١٠٣} فمن دلت على ابتداء تتابع بعث الرسل إلى أقوامهم امتنانا من الله عليهم في عدم تركهم بلا رسول يدعوهم إلى عبادة الله وحده وينذرهم عذابه الشديد.

وحين عدى الفعل بعث بحرف الاستعلاء في قوله تعالى ﴿فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليهم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا﴾ {الاسراء٥} دل على الضرر والهلاك.

وذهب الطاهر بن عاشور(ت١٣٩٣هـ) إلى القول بالتضمين بقوله " وتعدية "بعثنا" بحرف الاستعلاء لتضمينه معنى التسليط كقوله ﴿ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾ {الاعراف١٦٧} (٩) ".

ولا يخفى أن التضمين الذي يقول به الطاهر ما هو إلا محاولة لتصحيح معنى التعدية ونحن في غنى عن الذهاب إليه ما دام حرف الاستعلاء بدلالته قد أوحى بمعنى الضرر والهلاك.

وحين عدي بحرف الاختصاص اللام في قوله تعالى﴿ إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا....﴾ {البقرة١٤٧} دلت أن المراد بالبعث خير المرسل إليهم ونفعهم وأن بعثه كان لهم ولأجلهم.

وحين أريد بالبعث الإبلاغ وإنهاء الرسالة إلى المرسل إليهم جاءت إلى دالة على نلك كما في قوله تعالى ﴿ ثم بعثنا من بعدهم موسى وهارون إلى فرعون وملئه بآياتنا﴾.{يونس٧٥}

وحين عدي بحرف الظرفية " في" في قوله تعالى ﴿ وهو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ {الجمعة٢} دل حرف الظرفية على أن المبعوث واحد من أوساطهم معروف لهم وليس مجهولا لهم نائيا عنهم، وفي ذلك من النعي على عقول من كفروا به والتسجيل عليهم، والتأكيد على جحدهم للحق مع ظهور أدلته لهم، ويقينهم بصدق من أرسل إليهم لأنه يعيش بينهم ويتقلب فيهم[١٠].

كل هذه المعاني المتباينة للفعل بعث إنما كانت له بسبب تنوع حروف الجر المتنوعة الداخلة عليه.

وإذا كانت تعدية الفعل حين يعدى بأكثر من حرف من حروف الجر- لكون تعديته بها مشهورة وشائعة على ألسنة الفصحاء أو كثر ورود تعديته بها في القرآن الكريم -قد خفيت على بعض العلماء وأخطأ فيها بعضهم لصعوبتها إذ إن الخطأ وإن وقع يكون في عدم إدراك بعض الفروق والدلالات التي تشي بها حروف الجر، ومع ذلك كله فإن الأمر يظل مقدورا عليه، بل وفي مكنة المتأمل الذي يصغي السمع لما تهمس به حروف الجر من المعاني المتنوعة التي تخلعها على الفعل المعدى بها ، وغير خاف في أن إدراك مثل هذه الفروق يكون صعبا للغاية حين يتعدى الفعل بحرف من حروف الجر ليس من شأنه أن يتعدى به إما لأنه يتعدى بنفسه، وإما لشيوع تعديته بحرف آخر على ألسنة الفصحاء، أو في البيان القرآني " فإذا ما خولف المعروف والمشهور من هذه التعدية فإن الآراء حينئذ تتباين، والمذاهب تتعدد في تفسير هذه المخالفة، وأكثرها لا يعنى بالوقوف على أسرار المخالفة، واستجلاء أغراض النظم بقدر ما يعنى بإيجاد تبرير لهذا الخروج، والاستشهاد على صحته، مما نطق به العرب، أو نزل به الروح الأمين [١١]".

ومن ثم نجد لعلماء النحو حين يتعدى الفعل بحرف ليس في أصل الاستعمال أن يتعدى به رأيين:

أولهما: رأى الكوفيين:

فالكوفيون ومن سار على نهجهم يذهبون إلى القول بتناوب حروف الجر بعضها عن بعض فيقولون مثلا أن في بمعنى على، وعلى تكون بمعنى في أو بمعنى مع وهكذا.

ويعد ابن قتيبة من أوائل العلماء الذين أشاروا إلى تناوب حروف الجر مواضعها حيث أفرد في كتابه تأويل مشكل القرآن بابا أطلق عليه باب دخول بعض حروف الصفات مكان بعض[١٢] ثم تعاقب العلماء من بعده على تأليف كتب في معاني الحروف ذكروا فيها للحرف الواحد معناه الأصلي المستعمل في كلام العرب ثم معانيه الأخرى التي يتناوبها مع حروف الجر الأخرى[١٣].

ثانيهما: رأي البصريين:

ذهب البصريون إلى القول بتضمين الفعل معنى فعل يتعدى بذلك الحرف، وقد أشار المرادي (ت٧٩٤هـ) إلى هذين المذهبين بقوله " مذهب الكوفيين ومن وافقهم أن حروف الجر ينوب بعضها عن بعض،،ومذهب البصريين إبقاء الحرف على موضوعه إما بتأويل يقبله اللفظ، أو بتضمين الفعل معنى فعل أخر يتعدى بذلك الحرف، وما لا يمكن فيه ذلك فهو من وضع أحد الحرفين موضع الآخر على سبيل الشذوذ [١٤]".

ولا يخفى أن كلا الرأيين ما هما إلا محاولة من العلماء لبيان المعنى وتصحيح التعدية والوقوف عندهما يعد صرفاً لهمم الدارسين عن البحث في أعماق النصوص للوقوف على روائع البلاغة في تنوع المعاني التي يكتسبها الفعل بتنوع معاني حروف الجر الداخلة عليه.

ومع يقيني بأن هذين الرأيين قد ذهب إليهما كثير من أئمة النحو والتفسير ووردا أيضا في كلام العرب شعره ونثره، وفي البيان القرآني، لأنهما من طرائق التعبير في لغتنا العربية، فإني لا أذهب إليهما ولا أكتفي بالوقوف عندهما لأن الدارس لبلاغة القرآن ليس غايته الوقوف عند بيان المعنى وتصحيح التعدية بل غايته بيان الأسرار وإبراز الفروق الدقيقة من وراء تعدية الفعل بأكثر من حرف من حروف الجر.

وإذا كان من غير المستساغ القول باستواء الحرفين في الدلالة –لأن لكل حرف دلالته الخاصة به– في كلام الناس ونتره كلامهم عنه فما بالك بالبيان المعجز الذي وضعت فيه الألفاظ مواضعها اللائقة بها لأنه كلام الذي أتقن كل شيء صنعا ، فإن القول بقبوله في القرآن يعد أمرا لا نكاد نرتضيه أو نقبله في حق بلاغة القرآن لأنه يقتضي أن القرآن حين يؤثر التعبير بحرف من حروف الجر دون ذلك الحرف الذي هو موضوع أصلا لذلك المعنى يكون إيثاره

له عاريا عن البلاغة، لأنه حينئذ يصير الحرفان شيئا واحدا، وأن أحد الحـــرفين يســـتطيع أن يؤدي ما يؤديه غيره، وهذا ما نتزه عنه البيان المعجز.

وإذا كان هذا الحكم منسحبا على القول بتناوب حروف الجر بعضـــها عـــن بعـــض فكذلك الشأن في القول بالتضمين لأنه لا يعدو أن يكون إلا محاولة من العلماء لتصحيح وجـــه التعدية وليس بحثا عن أسرار البلاغة في تنوع تعدية الفعل.

ولا يعني هـــذا أنني أرفض هذين الرأيين جملة وتفصيلا، بل إنني لا أميـــل إليهمـــا ولا أرتضيهما لأن الوقوف عندهما دون البحث عن أسرار تنوع تعدية الفعل وما تشيعه حروف الجر من المعاني المتعددة على الفعل عند تعديته بها فيه– دون شك– حيف على البيان العـــالي لعـــدم قدرتهما على الوفاء بأسرار البيان وروائع التعبير الكامنة في أعطافه.

ويلجأ بعض النحاة والمفسرين حين يكثر تعدية الفعل بحرف ما، وتقل تعديته بحرف أخر إلى القول بأصالة تعديته بذلك الحرف ونيابته عن الحرف الآخر اعتمادا علـــى كثـــرة تعديـــه وشيوعها أو قلة تعديه.

من ذلك ما ذهب إليه ابن هشام (ت٧٦١هـــ) في تعدية فعل المرور تارة بالباء وتـــارة بعلى عند حديثه عن الباء ومعانيها بقوله [فإذا استوى التقديران في المجازية فالأكثر اســـتعمالا أولى بالتخريج عليه كـــ "مررت بزيد" و "مررت عليه" وإن كان قد جاء كما في قوله تعالى

﴿ لتمرون عليهم ﴾ {الصافات١٣٧} و ﴿يمرون عليها ﴾ {يوسف١٠٥}

ولقد أمر على اللئيم يسبني....[١٥].

إلا أن مررت به "أكثر، فكان. أولى بتقديره أصلا[١٦]"

ومن ذلك ما ذكره أبو حيان (ت٧٤٥هـــ) عند تفسير قوله تعـــالى ﴿وإذا خلـــوا إلى شياطينهم....﴾ {البقر١٤} قائلا يتعدى بالباء وإلى والباء أكثر استعمالا، وعدل إلى لأنهـــا إذا عديت بالباء احتملت معنيين أحدهما الانفراد والثاني السخرية[١٧]".

فهو يشير إلى أن الفعل خلا الأصل فيه أن يتعدى بالباء لأنها أكثر اســـتعمالا وحـــين يتعدى بغير الباء يكون على غير الأصل.

ولعل الاستدلال بهذيـــن النصيـــن ما يؤكد ما أشرت إليـــه أنفـــا من ذهاب بعـــض العلماء إلى القول بأصالة تعدي الفعل بحرف ما حين يشيع تعديه به ونيابته عنه حين تقل تعديته بحرف آخر.

ولا أدري على أي أساس اعتمد هؤلاء العلماء في الذهاب إلى هذا القول؟ خاصة بأننا على يقين في أن القول " بأصالة تعدي الفعل بحرف لكثرة وروده، ونيابته عن الآخر لقلة التعدي

لا يمكن التسليم به إلا في ضوء دراسة لتاريخ الألفاظ ونشأها وتطورها وإحصاء دقيق لاستعمالاها في عصور الاستشهاد وهو ما لم يتيسر بعد لهذه اللغة(١٨)". وفي ضوء ما تقدم ليس لدينا الدليل القاطع على أن الفعل حين تكثر وتشيع تعديته بحرف ما تكون تعديته به أصلية، وحين تقل تعديته بحرف أخر تكون تعديته جارية على خلاف الأصل، بل على العكس من ذلك فقد وردت بعض الأفعال التي قيل فيها بهذا في كلام أهل الطبع الذين يحتج بكلامهم، وفي القرآن الكريم وهو المعجم التركيبي للغة العرب الذي لا يكاد يختلف أحد حول ظواهره التركيبية ولا أدل على ذلك من أن كتب معاني الحروف تحفل بشيء كثير لا يمكننا حصره وإنما نكتفي ببعض الشواهد منها فول الشاعر:

إذا رضيت علي بنو قشير　　لعمر الله أعجبني رضاها.

أي إذا رضيت عني.

وقال علقمة بن عبدة

فإن تسألوني بالنساء فإنني　　بصير بأدواء النساء طبيب

أي عن النساء.

وعليه قوله تعالى ﴿ سأل سائل بعذاب واقع﴾ {المعارج١} أي عن عذاب واقع، وقال تعالى ﴿ فاسأل به خبيرا ﴾ {الفرقان٥٩} أي عنه.

ويقال "سقط الرجل لوجهه" أي على وجهه قال تعالى ﴿ يخرون للأذقان ﴾ {الاسراء١٠٧} أي على الأذقان.

وقال الشاعر وهو الأشعث الكندي:

تناولت بالرمح الطويل ثيابه　　فخر صريعا لليدين وللفم

أي على اليدين والفم.

﴿ عينا يشرب بها عباد الله ﴾ الانسان٦} أي يشرب منها.

وقال عنترة:

شربن بما الدحرضين فأصبحت　　زوراء تنفر عن حياض الديلم

أي شربن من ماء الدحرضين.

وقال آخر: شربن بماء البحر ثم ترفعت.....(١٩).

بل إن بعض الأفعال حين نتتبع تعديتها في القرآن الكريم نجدها لا تطرد مع ما ذهبوا إليه، فهذا فعل المرور الذي قيل فيه إن الأصل فيه أن يعدى بالباء لكثرة تعديته به، وإذا ورد متعديا بغيرها كان جاريا على خلاف الأصل.

وبتتبع مواطن وروده في القرآن نجده ورد متعديا بعلى في أربعة مواضع، وبالباء في ثلاثة مواضع(٢٠).

أوليس هذا وحده كافيا في نفي ما ذهب إليه بعض العلماء الذين قالوا بما أشرنا إليه آنفا! وإسقاطه كلية لأنه ليس لديهم الدليل المقنع على صحة رأيهم؟.

الفصل الأول : جهود العلماء في دراسة تعدية الفعل

لعلمائنا السابقين- رحمهم الله- بتنوع بيئاتهم الثقافية التي ينتمون إليها من نحويين وبلاغيين ومفسرين لمحات موفقة استطاعوا من خلالها- بثاقب نظرهم وذوقهم المرهف- استبطان النصوص المختلفة للوصول إلى أسرار تنوع الفعل بحروف الجر وما تخلعه من معانيها على الأفعال المتعدية بها.

ويأتي في مقدمة هؤلاء العلماء المفسرون لاختلاف طبيعة دراستهم عن غيرهم من العلماء، فهم معنيون في كتبهم بتفسير آيات القرآن الكريم وإبراز ما تحويه من لطائف البلاغة وأسرار البيان.

وسنتكئ في دراستنا على إمام من أئمة البلاغيين و المفسرين وهو الزمخشري لأن كثيرا من أئمة التفسير كانوا عالة عليه، ولأن كتابه الكشاف يضم بين دفتيه كثيرا من الأسرار البلاغية لحروف الجر التي تتعدى بها الأفعال مما لم يجد طريقه إلى كتب البلاغة حين قام البلاغيون بتصنيف مباحث البلاغة وتقسيمها إلى علومها الثلاثة، وهذا اللون من الدراسة يطلق عليه شيخنا الدكتور محمد أبو موسى بالبلاغة الغائبة، فهناك- كما نعلم- بحوث بلاغية خصبة في كتب التفسير هي من صميم الدرس البلاغي لكننا لا نجد لها مكانا في كتب علماء البلاغة المتأخرين .

لعل من أوائل الإشارات التي تكشف عن أسرار تعدية الفعل بحروف الجر ما ذكره الإمام الخطابي في قوله " وأما من وعن فإنهما يفترقان في مواضع كقولك: أخذت منه مالا، وأخذت عنه علما، فإذا قلت: سمعت منه كلاما أردت سماعه من فيه، وإذا قلت سمعت عنه حديثا كان ذلك عن بلاغ...(٢١) ".ويقول الراغب الأصفهاني في تعدية فعل الرؤية [ورأى إذا تعدى إلى مفعولين اقتضى معنى العلم نحو ﴿ويرى الذين أوتوا العلم..﴾.{سبأ٦} وإذا عدي رأيت بإلى اقتضى معنى النظر المؤدي إلى الاعتبار نحو ﴿ ألم تر إلى ربك ﴾ {الفرقان٤٥} وقوله ﴿بما أراك الله ﴾ {النساء١٠٥} أي بما علمك وعرفك(٢٢)".

وفي موضع آخرر يوضح الراغب تعدية الفعل " راغ" تارة بإلى وأخرى بعلى في قولــه "وراغ فلان إلى فلان" : مال نحوه لأمر يريـــــده منه بالاحتيال قال ﴿ فــراغ إلى أهلــه ﴾ {الذاريات٢٦} ، ﴿فراغ عليهم ضربا باليمين ﴾ {الصافات٩٣} أي مال: وحقيقتــه طلــب بضرب من الروغان، ونبه بقوله "على" على معنى الاستيلاء[٢٣]".

فإلى بدلالتها على الانتهاء في قوله "فراغ إلى آلهتهم" تشير إلى أن إبراهيم عليه السلام قد جعل وصوله إلى الأصنام غاية يسعى إليها ليحقق ما عزم عليه من تحطيم آلهتهم، أما على بما فيها من الاستعلاء تدل على تمكنه منها واستيلائه عليها وقهره لها وما لحقها من أثار التحطيم و التدمير [٢٤].

ويزخر تفسير الزمخشري بروائع البلاغة القرآنية، ويفيض بالمواطن العديدة- وهي على كثرها تجعلنا في حيرة ما الذي نختاره وما الذي ندعه منها؟- التي كشف من خلالها عن أســرار تعدية الفعل، وقد كتب له التوفيق في غالب الأحيان لأنه كان يتلمس الفرق بين مــا تشــيعه حروف الجر من الأسرار في سياقاها المختلفة فكان بحق تفسيره منهلا عذبا للباحث عن البلاغة القرآنية لأنه كان فيه أكثر استجابة لخصائص النظم من غيره وأقدر على إبراز مقاصد البيــان القرآني وأسراره مما سواه .

من ذلك قوله في تعديـــــة الفعل "يجري" باللام وبإلى عند تفسير قوله تعالى ﴿وســخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى...﴾ {لقمان٢٩} " فإن قلت يجرى لأجل مســمى ويجرى إلى أجل مسمى أهو من تعاقب الحرفين؟ قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقــة إلا بليــد الطبع ضيق الفطن، ولكن المعنيين أعني الانتهاء والاختصاص كل واحد ملائم لصحة الغــرض، لأن قولك يجري إلى أجل مسمى معناه يبلغه وينتهي إليه، وقولك يجري لأجل مسمى تريد يجرى لإدراك أجل مسمى تجعل الجري مختصا بإدراك أجل مسمى [٢٥]" فالزمخشري يوضح الفرق بين تعدية الفعل باللام وإلى ولا يسوي بينهما لأن لكل حرف دلالتــه الخاصــة التــي يضيفهــا على الفعل حين يعدى بها، وينعي على الذين يسوون بينهما، ويشتد في النكير عليهم، ويصــف من يفعل ذلك بأنه بليد الطبع ضيق العطن.

وهذا الفرق الذي ذكره الزمخشري تجده ماثلا في قوله تعالى ﴿ ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن ﴾ {الاسراء١٩} وبين قوله تعالى﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾{الجمعة٩} واعتمادا على الفرق بين دلالة حرفي الجر اللام وإلى فــإن الســعي للآخرة يعني العمل من أجلها والاستعداد لها بصالح العمل، والسعي إلى الصلاة يراد به التوجــه إليها والقصد إلى بيوت الله لأدائها[٢٦].

ومن ذلك قوله الذي أبرز من خلاله بلاغة البيان المعجز في إيثاره التعبير بحرف الاستعلاء بدلا من حرف الانتهاء عند تفسير قوله تعالى ﴿ فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين ﴾ {القلم٢٢،٢١} "فان قلت: هلا قيل اغدوا إلى حرثكم وما معنى على؟ قلت: لما كان الغدو إليه ليصرموه ويقطعوه كان غدوا عليه كما تقول غدا عليهم العدو، ويجوز أن يضمن الغدو معنى الإقبال كقولهم يغدى عليه بالجفنة ويراح أي فأقبلوا على حرثكم باكرين [٢٧]"

فالزمخشري كما ترى ذكر قولين كان في أولهما أقرب إلى حسه البلاغي وهو ما تكبر حوله البلاغة وتدندن، أما ثانيهما فكان فيه أقرب إلى النحاة لأنه من تخريجاتهم.

وعلى هنا ترمز إلى معنى لطيف، فهي بدلالتها على معنى الاستيلاء على الحرث والإغارة عليه تفصح عن نية العدوان والاغتصاب لحقوق المساكين التي بيتوها في أنفسهم، وتصور أصحاب الجنة كأنهم قطاع طريق يستلبون حقوق الناس، ويسرعون لتنفيذ ما بيتوه حتى لا يراهم أحد كاللصوص الذين يستترون بالليل ليتمكنوا من سرقة ما يريدون سرقته[٢٨].

ومما كشف فيه الزمخشري أسرار تعدية الفعل ما قاله عند تفسير قوله تعالى ﴿إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا﴾ {الانسان٥و٦} حيث عدي فعل الشرب بمن في قوله﴿ يشربون من كأس﴾، وعدي بالباء في قوله ﴿يشرب بها عباد الرحمن﴾ ويقول الزمخشري " فإن قلت: لم وصل فعل الشرب بحرف الابتداء أولا وبحرف الإلصاق آخرا؟ قلت : لأن الكأس مبدأ شربهم وأول غايته، وأما العين فبها يمزجون شرابهم فكأن المعنى يشرب عباد الله بها الخمر كما تقول شربت الماء بالعسل [٢٩]"

فحين عدي بحرف الابتداء "من" دل على أن الكأس مبدأ شربهم وأول غايته، ومنه يشربون وحين عدي بحرف الإلصاق دلت الباء على التصاقهم بالعين وشدة قربهم منها وفي ذلك من الدلالة على كمال النعيم بما لا مزيد عليه.

ويقول الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ) عند تفسيره لقوله تعالى ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ {البقرة٣} الإيمان إذا عدي بالباء فالمراد به التصديق، فإذا قلنا فلان آمن بكذا، فالمراد أنه صدق به......[٣٠]".

والباء بما تدل عليه من معاني المصاحبة والملابسة والإلصاق تومض بالإقرار بالغيب والتصديق به، والعمل بمقتضاه فهم يؤمنون بالغيب متلبسين فيه، ويشعرون بالأمن والأمان في صحبته.

ومما ذكره الرازي في الفرق بين تعدية الفعل تاب بإلى وعلى عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه .. ﴾ {البقرة٣٧} " التوبة لفظ يشترك فيها الرب والعبد، فإذا وصف بها العبد فالمعنى رجع إلى ربه لأن كل عاص فهو في معنى الهارب من ربه فإذا تاب فقد رجع عن هروبه إلى ربه..وإذا وصف بها الرب تعالى فالمعنى أنه رجع على عبده برحمته وفضله، ولهذا السبب وقع الاختلاف في الصلة فقيل في العبد تاب إلى ربه وفي الرب على عبده(٣١)". فإلى بدلالتها على الانتهاء تشير إلى أن العبد أنهى توبته إلى ربه وأناب إليه، أما حرف الاستعلاء على فهو يشير إلى عظيم رحمة الله بعباده وفضله عليهم بقبول توبتهم، وتأمل كيف آثر القرآن التعبير بحرف الاستعلاء في قوله تعالى ﴿إنما التوبة على الله الذين يعملون السوء بجهالة ﴾ {النساء١٧} ليفتح باب التوبة واسعا لمن أغرق نفسه في الذنوب والمعاصي ليقبل على ربه، ويتفلت من حبائل الشيطان وذلك بما يعطيه على نفسه من عهده بقبول توبته، فحرف الاستعلاء يوحي بتحقيق ثبوت ما وعدهم به، وضمان قبوله لتوبتهم بحكم أن الله إذا وعد فلن يخلف وعده، ولو أنه قال: إنما التوبة من الله....لما أعطى للتائبين هذا الوعد الذي قطعه على نفسه مما يثبط الهمم ويدفع إلى اليأس(٣٢). ويوضح تعدية فعل الإحسان تارة بالباء وتارة بإلى بقوله: " يقال بم تتصل الباء في قوله تعالى ﴿وبالوالدين إحسانا ﴾ {النساء٣٦} وعلام انتصب؟ قلنا فيه ثلاثة أقوال: الأول قال الزجاج: انتصب على معنى أحسنوا بالوالدين إحسانا، والثاني: قيل على معنى وصيناهم بالوالدين إحسانا لأن الباء به أحسن على هذا الوجه، ولو كان على الأول لكان وإلى الوالدين كأنه قيل وأحسنوا إلى الوالدين (٣٣)"

فالرازي يدرك أن ثمة فرقا بين تعدية الإحسان بالباء وبإلى، لأن الباء بما فيها من الملابسة والإلصاق تشير إلى كمال البر والإحسان إلى الوالدين حيث صار الإحسان ملتصقا بهما وملابسا لهما، يخالطهما في الأحوال كلها، أما إلى فتدل على جعل الوالدين غاية ينتهي إليهما الإحسان ، ومما ذكره الرازي كاشفا فيه تنوع تعدية الفعل تارة باللام وتارة بإلى قوله عند تفسير قوله تعالى ﴿ وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض ﴾ {الأنعام٧٩} " ففيه دقيقة وهي أنه لم يقل وجهت وجهي إلى الذي فطر السماوات والأرض، بل ترك هذا اللفظ وذكر قوله "وجهت وجهي للذي والمعنى: أن توجيه وجه القلب ليس إليه لأنه متعال عن الحيز والجهة، بل توجيه وجه القلب إلى خدمته وطاعته لأجل عبوديته، فترك كلمة "إلى" هنا والاكتفاء بحرف اللام دليل ظاهر على كون المعبود متعاليا عن الحيز والجهة(٣٤) ."

وذكر أبو حيان (ت٧٤٥هـــ) لتعدية فعل الإنزال بإلى تارة و بعلى تارة أخرى عنـــد تفسيره لآية{ آل عمران٨٤} ﴿ قل آمنا بالله وما أنزل علينا﴾ وجهين معتمدا فيهما علـــى ما ذكره الزمخشري والراغب مفصحا عن صلة كل حرف منهما بسياقه ومقامه قـــائلا: وقـــال الزمخشري (قلت فإن لوجود المعنيين جميعا لأن الوحي ينزل من فوق وينتهي إلى الرسل فجـــاء تارة بأحد المعنيين وأخرى بالآخر وقال الراغب: إنما قال هنا على لأن ذلك لما كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم وكان واصلا إليه من الملأ الأعلى بلا واسطة بشر كان لفظ على المختص بالعلو أولى به هناك، ولما كان خطابا للأمة وقد وصل إليهم بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم كان لفظ إلى المختص بالإيصال أولى، ويجوز أن يقال أنزل عليه إنما يحمل على أمر المنزل إليـــه أن يبلغ غيره وأنزل إليه على ما خص به في نفسه وإليه نهاية الإنزال وعلى ذلـــك قـــال ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ {العنكبوت٥١} وقال ﴿ وأنزلنا إليك الـــذكر لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ {النحل٤٤} خص هنا بإلى لما كان مخصوصا بالذكر الذي هو بيان المنزل وهذا الكلام في الأولى لا في الوجوب [٣٥]".

ومن المواطن التي كشف فيها أبو حيان عن سر التعدية ما ذكـــره في تعديـــة الفعـــل "كسب" بعلى في قوله تعالى ﴿ومن يكسب إثما فإنما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما﴾ {النساء١١١} فالصفتان أي "عليم وحكيم" أشارتا إلى علمه بذلك الإثم وإلى ما يستحق عليه فاعله، وفي لفظة "على" دلالة استعلاء الإثم عليه واستيلائه وقهره له [٣٦]".

فحرف الاستعلاء يبرز ذلك بوضوح ما يجنيه مقترف السيئات على نفســـه بتعريضـــها لعذاب الله، وتحميلها من الأوزار ما لا تنهـــض بحملـــه، كمـــا يوحي بضعف نفـــس المـــذنب وعجزه عن مغالبته لشهواته وأهوائه، فهو مقهور ذليل تســـتعبده الآثـــام وتســـوقه الأهـــواء إلىمهاوي الهلاك[٣٧] ومن لطيف ما كشف فيه أبو حيان عن أسرار تعدية الفعل ما قاله في تعدية الفعل "ضاق" بعلى في قوله تعالى ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ﴾ {التوبة٢٥} " أي ضاقت بكـــم الأرض مع كونها رحبا واسعة لشدة الحال عليهم وصعوبتها كأنهم لا يجدون مكانا يستصلحونه للهرب والنجاة لفرط ما لحقهم من الرعب فكأنها ضاقت عليهم[٣٨] ".

ففي إيثار القرآن التعبير بعلى في قوله "ضاقت عليكم" بدلا من "ضاقت بكم" تصـــوير لشدة ما لقيه المسلمون حتى كأن الأرض صارت عدوا يحاصرهم ويكتم على أنفاســـهم فـــلا يجدون مكانا يأوون إليه للهرب والنجاة لشدة ما أصابهم من الرعب.

وفي قوله تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام ﴿ فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون ﴾ {الأنبياء٦١} يوضح أبو حيان بلاغة القرآن في تعديته للفعل " أتوا" بعلى " وعلى معناها الاستعلاء المجازي كأنه لتحديقهم إليه وارتفاع أبصارهم لرؤيته مستعل على أبصارهم[٣٩]".

وآثر القرآن حرف الاستعلاء ليدل على بالغ دهشة القوم وعدم إمكان تصديق خبر كهذا، يجرؤ فيه إنسان على تحطيم آلهتهم، فهم بحاجة إلى أن يقلبوا فيه أعينهم، ويحدقوا فيه أبصارهم، ولا بد أن يكون في مكان ظاهر تراه أعين الجميع، ويستعلي فيه على أبصارهم وهم يشهدون محاكمته[٤٠] ومن ثم عذابه الذي أعدوه له.

وأوضح الشهاب الخفاجي (ت١٠٦٩ هـ) في حاشيته بعض أسرار تنوع تعدية الفعل في آيات الذكر الحكيم من ذلك ما ذكره عند تفسيره لقوله تعالى على لسان موسى عليه السلام ﴿قال رب اغفر لي ولأخي وأدخلنا في رحمتك وأنت أرحم الراحمين﴾ {الأعراف١٥١} "لأن مقابلته بالمغفرة تدل على أنها رحمة إنعام لا عفو، وترك المتعلق من المنعم به والدارين، وجعل الرحمة محيطة بهم إحاطة الظرف لانغماسهم فيها يقتضي المزيد[٤١]"

فحرف الظرفية كشف عن رغبة موسى عليه السلام في وصول رحمة الله بهما ليس على ظاهر حاليهما بل أن ينغمسا فيها ويتقلبا فيها، وأن تحيط بهما من جميع الجوانب كما يحيط الظرف بمظروفه.

وعند تفسيره لقوله تعالى ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين﴾ {الأعراف٨٨} بين سر تعدية الفعل "عاد" بحرف الظرفية بقوله "وعدي عاد بفي كأن الملة لهم بمنزلة الوعاء المحيط بهم[٤٢]".

ولعل ما ذكره الشهاب في أن الملة صارت لهم بمنزلة الوعاء المحيط بهم إحاطة الظرف بمظروفه، يوضح " رغبة قوم شعيب عليه السلام في عدم خروج شعيب ومن معه من ملتهم وعدم الفكاك منها والخلاص منها ولهذا عبروا بحرف الظرفية وليس بحرف الانتهاء لأنهم لم يكتفوا بعودة شعيب والمؤمنين لملتهم فحسب، فحرف الظرفية كشف عن رغبتهم في استقراره ومن معه في دينهم، وتمكنهم فيه تمكنا يضمنون معه عدم الخروج منه[٤٣]".

وفي تعدية فعل الاكتيال بعلى في قوله تعالى ﴿ ويل للمطففين الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون﴾ {المطففين٢،١} نجده يقول " وقوله تعالى وإنما أبدل..... فيه إشارة إلى تعاقب "من" و "على هنا، قال الفراء: اكتلت على الناس: استوفيت منهم واكتلت منهم: أخذت ما

عليهم، وقيل "على" بمعنى "من" وقد جوز تعلق "على بيستوفون هنا، وإذا تعاقبا، فاختيار على للدلالة على أن ما اكتالوه دين لهم على الناس أو اكتيال يتحامل فيه، فعلى فيه للمضرة(٤٤)"

لا شـك هنـاك فـرق بيـن "اكتالوا على الناس" وبيـن "اكتـالوا مـن النـاس" وليـس بنا حاجة إلى القـول بتنـاوب حروف الجـر "بأن" "على" بمعنـى "مـن" لأن إيثـار القـرآن الكـريـم التعبـير بحرف الاستعلاء "على بدلا من حرف الابتداء "من" لأن حرف الاستعلاء يشي بالتحامل والغبن و الإضرار بالناس الذين كتب عليهم التعامل مـع هؤلاء المطففين(٤٥).

وللألوسي (ت١٢٧٠هـ) جهود متميزة في بيان بلاغة القرآن الكريم من خلال إبراز تنوع تعدية الفعل في البيان القرآني ،فقد أفصح عن سر تعدية الفعل "سارع" بفي وإلى وملاءمة كل حرف منهما لسياقه ومقامه عند تفسير قوله تعالى ﴿ يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم.....﴾ {المائدة٤١} " ومعنى "يسارعون في الكفر" يقعون فيه سريعا لغاية حرصهم عليه وشدة رغبتهم فيه، ولتضمن المسارعة معنى الوقوع تعدت "بفي" دون إلى الشائع تعديتها بها كما في ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة﴾ { آل عمران١٣٣} وغيره ، وأوثر ذلك قيل: للإشعار باسـتقـرارهم في الكفر ودوام ملابستهم له في مبـدأ المسارعـة ومنتهاها كما في قوله سبحانه ﴿يسارعون في الخيرات﴾ {الأنبياء٩٠} في حق المؤمنين، وأما إيثار كلمة إلى في آيتها فلأن المغفرة والجنة منتهى المسارعة وغايتها(٤٦)" فحرف الظرفية يوضح استقرارهم في الكفر وانغماسهم في ظلماته، وتخبطهم في دروبه ومسالكه أما "إلى" فتشير إلى أن المغفرة والجنة هي منتهى المسارعة وغايتها.

ومع أنني لا أتفق مع الألوسي في ذهابه إلى التضمين إلا أنه قد أجاد في الكشف عن سر عدول القرآن إلى حرف الظرفية في الآية الأولى، وبيانه لإيثار القرآن التعبير بإلى في الآية الثانية بما لا مزيد عليه.

وفي موطن آخر يوضح الألوسي تعدية الفعل هاجر بحرف الظرفية في قولـه تعـالى ﴿ والذين هاجروا في الله من بعد ما ظلموا﴾ {النحل٤١} قائلا " أي في حقه،ففي على ظاهرهـا ففيه إشارة إلى أنها هجرة متمكنة تمكن الظرف في مظروفه، فهي ظرفية مجازية(٤٧)".

لعـل مكمـن البلاغـة في هذه الآية الكريمـة هو ما أفصح عنه الألوسي في بيان سر إيثار القرآن للتعبير بحرف الظرفية لأن "في" تشير إلى أن هؤلاء المهاجرين بإخلاصهم أنفسهم لله

تعالى ووضعهم أرواحهم في يده، هم في حصن من حماية الله تعالى، يغشاهم برحمته، ويحيطهم بأمنهم وحوله، وينشر عليهم سياجا من معيته[٤٨].

وفي دعاء المؤمنين في قوله تعالى ﴿ ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان أن أمنوا بربكم فأمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا.﴾ {آل عمران١٩٣} يكشف الألوسي سر تعدية الفعل "كفر" بحرف المجاوزة مع أن الفعل يتعدى بنفسه قائلا " في التكفير معنى زائد وهو التغطية للأمن من الفضيحة، وقيل: إنه كثيرا ما يعتبر فيه معنى الإذهاب والإزالة ولهذا يعدى بعن، والغفران ليس كذلك، وفي ذكر "لنا" و "عنا" في الآية مع أنه لو قيل: فاغفر ذنوبنا وكفر سيئاتنا لأفاد المقصود إيماء إلى وفور الرغبة في هذين الأمرين [٤٩]"، فحرف المجاوزة "عن" يبرز بوضوح رغبة المؤمنين في تجاوز الله تعالى عن ذنوبهم ومحو سيئاتهم وإبعادها عن صحائفهم، وهو ما ألمح إليه الألوسي بكلامه السابق.

وفي تعدية فعل العود "بفي" بدلا من " إلى" في قوله تعالى ﴿ كلما أردوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها وذوقوا عذاب الحريق﴾ {الحج٢٢} يكشف الألوسي النقاب عن بلاغة النظم في إيثاره لفي بدلا من إلى في هذه الآية الكريمة بقوله أعيدوا فيها " أي في قعرها بأن ردوا من أعاليها إلى أسافلها، من غير أن يخرجوا منها إذ لا خروج لهم كما هو المشهور من حالهم، واستدل بقوله ﴿ وما هم بخارجين﴾{البقرة١٦٧} وفي اختيار "فيها" دون "إليها" إشعار بذلك[٥٠]"

فالألوسي كما ترى يوضح أن حرف الانتهاء لا يستطيع أن ينهض بما يؤديه حرف الظرفية " لأنهم لم يخرجوا من النار ولم يفارقوها حتى يعادوا إليها، وإنما هم فيها، يحاولون الخروج ويسعون له، ويتركون استدراجا لهم، حتى إذا شارفوه أعيدوا في نفس المكان من وسط جهنم أو قعرها، وفي ذلك ما فيه من الدلالة على شدة العذاب وتمكنه منهم، وإحاطته بهم[٥١]"

وفي التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) لمحات موفقة كشف من خلالها بعض ما تخلعه حروف الجر من معانيها على الأفعال التي تعدى بها، من ذلك ما ذكره في تعدية الفعل "خلا" بحرف الانتهاء "إلى" في قوله تعالى ﴿ وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم...﴾ {البقرة١٤} " وخلوا بمعنى انفردوا، فهو فعل قاصر، و يعدى بالباء وباللام ومن ومع بلا تضمين، ويعدى بإلى على تضمين معنى آب أو خلص ويعدى بنفسه على تضمين تجاوز وباعد، ومنه ما شاع من قولهم "افعل كذا وخلاك ذم" أي أن تبعة الأمر أو ضره لا تعود عليك، وقد عدي هنا بإلى ليشير إلى أن الخلوة كانت في مواضع هي

مآبهم ومرجعهم وأن لقاءهم للمؤمنين إنما هو صدفة و لمحات قليلة، أفاد ذلـــك قولـــه "لقـــوا" و"خلوا" وهذا من بديع فصاحة الكلمات وصراحتها[٥٢]"

وليس بنا حاجة إلى التضمين، لأن حرف الانتهاء يشير إلى أن خلوهم بإخوانهم كانـــت مقصودة، وهم كانوا ماضين إلى غايتهم في لقاء يضمهم بإخوانهم للتشاور والكيد للمســـلمين، وأن لقائهم بالمؤمنين كان صدفة وتمويها لا غاية وهدفا.

وعند تفسيره لقوله تعالى خطابا لبني إسرائيل ﴿ وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾ {البقرة ٥٥} بين ما أشاعه حرف "الباء" من المعاني علـــى ســـياقه بقوله " والباء في بكم إما للملابسة كما في طارت به العنقاء، وعدا به الفرس أي كـــان فـــرق البحر ملابسا لكم، والمراد من الملابسة أنه يغرق وهـــم يدخلونـــه، فكـــان الغـــرق حاصـــلا بجانبهم[٥٣]"

فالباء تشي بعظيم قدرة الله تعالى وبالغ فضله على بني إسرائيل حيث فرق بهم البحـــر وهم ملاصقون له، ومتلبسون بمصدر الهلاك أودى بعدوهم، فأنجاهم وأغرق عدوهم، وهم منه جد قريب[٥٤]".

وفي تعدية الفعل "تقطع" بالباء في قوله تعالى ﴿ إذ تبرأ الذين اتبعوا من الـــذين اتبعـــوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب﴾ {البقرة١٦٦} يقول الطـــاهر "فالبـــاء" في "بهـــم" للملابسة أي تقطعت الأسباب ملتبسة بهم فسقطوا، وهذا المعنى هو محل التشبيه لأن الحبل لـــو تقطع غير ملابس للمرتقي وعليه لما كان في ذلك ضر.... ولذلك لم يقل وتقطعت أســـبابهم أو نحوه [٥٥]"

وفي تعدية فعل "التكبر" بحرف الظرفية في قوله تعالى ﴿ سأصرف عـــن آيـــاتي الـــذين يتكبرون في الأرض بغير الحق....﴾ .{الآعراف١٤٦} استطاع الطاهر أن يلمح مـــا أفـــاده حرف الظرفية من الزراية والتشهير بهؤلاء المتكبرين في الأرض، ومن الدلالة على رســـوخهم في التكبر والإعراض عن دين الله، وبيان أن تكبرهم ليس خافيا على أحد بل هو مبثوث في الأرض شائع في أوساط الناس، يعلمه القاصي والداني، حيث يقول " وزيـــادة" في الأرض " لتفضـــيح تكبرهم، والتشهير بهم بأن كيدهم مظروف في الأرض، أي هو ليس خفيا مقتصرا على أنفسهم، بل هو مبثوث في الأرض، أي مبثوث أثره، فهو تكبر شائع في بقاع الأرض[٥٦]" ، وفرق الطاهر بين تعدية الفعل "وسوس" بإلى وتعديته باللام عند تفـــــسيره لقوله تعالى ﴿ فوســـوس إليـــه الشيطان قال يا أدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ {طه١٢٠} بقوله " وتعديـــة فعل "وسوس" هنا بحرف "إلى" وباللام في سورة الأعراف (آية٢٠)

﴿ فوسوس لهما الشيطان﴾ باعتبار كيفية تعليق المجرور بذلك الفعل في قصد المتكلم، فتعديته بحرف "إلى" هنا باعتبار انتهاء الوسوسة إلى أدم وبلوغها إياه، وتعديته باللام في الأعراف باعتبار أن الوسوسة كانت لأجلهما(٥٧)"

الفصل الثاني: من أسرار تعدية الفعل في القرآن الكريم

دخل:

الفعل "دخل"(٥٨) تنوعت دلالاته تبعا لتعدد تعديته بحروف الجر التي يكتسب معها الفعل من معانيها الأصلية من الدلالات الموحية التي يعين على إبرازها السياق والمقام.

وقد جاء في القرآن الكريم متعديا بنفسه كما في قوله تعالى ﴿ودخل جنته وهو ظالم لنفسه﴾ {الكهف٣٥} وقوله تعالى ﴿قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها....﴾.{النمل٣٤} ، وورد متعديا بعلى وفي ومن والباء ومع فدل على معان متباينة طبقا للحرف المتعدى به.

والدخول : نقيض الخروج، ويستعمل ذلك في المكان والزمان(٥٩) ، وحقيقته كما يقول الطاهر بن عاشور " نفوذ الجسم في جسم أو مكان محوط كالبيت والمسجد(٦٠) "

وحين تعدى فعل الدخول بعلى دل حرف الاستعلاء على ارتفاع المكان وإشرافه وعلوه، وأن الداخل أو المأمور بالدخول فيه مطالب بمزيد من التحمل والصبر على ما يلاقيه من الضرر والمشقة، وإن بقي لكل سياق مزيد خصوصية بما تشيعه تراكيبه من الدلالات والأغراض التي لا تجدها في السياق الآخر.

وقد أوضح ابن السيد البطليوسي حقيقة حرف الاستعلاء بقوله " اعلم أن أصل "على" العلو على الشيء وإتيانه من فوقه كقولك : أشرفت على الجبل، ثم يعرض فيها إشكال في بعض مواضعها التي تتصرف فيها، فيظن الضعيف في هذه الصناعة أنها قد فارقت معناها، فمن ذلك قول القائل : زرته على مرضي، وأعطيته على أن شتمني، وإنما جاز استعمال "على" ها هنا ، لأن المرض من شأنه أن يمنع من الزيارة، وكذلك الشتم يمنع المشتوم من أن يعطي شاتمه شيئا، والمنع قهر للممنوع ، واستيلاء عليه ، فهي إذن لم تخرج عن أصلها بأكثر من أن الشيء المعقول شبه بالشيء المحسوس ، فخفي ذلك على من لا دربة له في المجازات والاستعارات(٦١)"،

وبتأمل مواطن تعدية الدخول بعلى في القرآن الكريم نجد له الدلالة التي ذكرناها آنفا في قوله تعالى ﴿وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا.....﴾. {آل عمران٣٧}

فعلى بدلالته على الاستعلاء يشير إلى ارتفاع المكان الذي فيه مريم عليها السلام وعلوه وقد نص المفسرون على أن زكريا عليه السلام بنى لها محرابا في المسجد أي غرفة يصعد إليهـــا بسلم[٦٢].

أو أن "على" توحي بمشقة زكريا عليه السلام وهو شيخ كـــبير في الوصـــول إليهـــا، ومعاناته في كفالته لها، والقيام على رعايتها حق الرعاية على أكمل وجه.

ولنفس الغرض جاءت "على" حين تعدى بها فعل الدخول في قصة يوسف عليه السلام في أربعة مواطن[٦٣]، منها قوله تعالى ﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون ﴾ {يوسف٥٨}

وقوله تعالى ﴿ ولما دخلوا على يوسف آوى إليه أخاه...﴾.{يوسف٦٩} فهي تـــدل على ارتفاع مكان يوسف وعلوه، وأنهم قد وجدوا من المشقة والصعاب ما وجدوه في ســـبيل الوصول إليه والدخول عليه.

أما على في قوله تعالى ﴿قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما ادخلوا علـــيهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون﴾ {المائدة٢٣} فإن الاستعلاء فيها مع دلالته على علو مكان العدو يدل على التمكن والقهر والغلبة، وهو في الوقت نفسه يطالب المخـــاطبين بمزيـــد مـــن التحمل والصبر على ملاقاة هؤلاء الأعداء.

وقد كشف السياق عن رغبة هذين الرجلين اللذين أنعم الله عليهما في تشجيع قومهما على قتال العدو من خلال التعبير بحرف الاستعلاء ومن خلال تأكيد وعدهما لهم بالفوز والغلبة على العدو بقولهما كما حكاه القرآن ﴿ ادخلوا عليهم الباب فإذا دخلتموه فإنكم غالبون﴾.

وهل كنت تجد هذه المعاني والدلالات التي يشـــيعها حـــرف الاســـتعلاء في ســـياقاته المختلفـــة لو قيل :إن "على" بمعنى "من" في قوله تعالى ﴿ادخلوا عليهم الباب﴾ أي ادخلـــوا من الباب أو أنه بمعنى "إلى" في قوله تعالى ﴿ولما دخلوا علـــى يوســـف﴾ أي ولمـــا دخلـــوا إلى يوسف.؟

وحين تعدى بفعل الدخول "في" دل حرف الظرفية على التمكن والاستقرار كمـــا في قوله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكـــم عدو مبين﴾ {البقرة ٢٠٨}

ذهب المفسرون إلى أن المراد بالسلم الإسلام[٦٤]، ومعنى الدخول في الإسلام كما يكشف عنه حرف الظرفية زيادة التمكن منه والتغلغل في فهم شرائعه وأحكامه، كما أنه يوحي بأن الإسلام حصن منيع للداخلين في كنفه يحيط بهم من جميع الجوانب كإحاطة الظرف بمظروفه[٦٥] ونظيره قوله تعالى ﴿يدخلون في دين الله أفواجا﴾ {النصر٢} وفي قوله تعالى ﴿فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ {الفجر٢٩} ونظائرها كما في قوله تعالى ﴿وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾{النمل١٩} وقوله تعالى ﴿ادخلوا في أمم﴾ {الأعراف٣٨}

ذهب كثير من المفسرين والنحويين إلى القول بتناوب حروف الجر بعضها مكان بعض، وأن "في" بمعنى "مع" وفي هذا الصدد يقول الهروي " وتكون أيضا بمعنى "مع" قال جل ثناؤه ﴿فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ ومعناه مع عبادي، وقال ﴿وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ أي مع عبادك في الجنة[٦٦]".

وغير خاف أن القول بتناوب حروف الجر لا يكشف عما تومض به حروف الجر من المعاني والأسرار في البيان القرآني لأنه ليس إلا محاولة لإيضاح المعنى وبيانه وليس مستساغا أن يقال باستواء الحرفين دون أن تكون لأحدهما دلالات بلاغية ينشرها على السياق، نرى البليغ من أجلها يؤثر في كلامه التعبير بأحدهما دون الآخر، فما بالك بالبيان المعجز.

وفي إيثار القرآن التعبير بحرف الظرفية دون كلمة المصاحبة "مع" من الأسرار البلاغية التي لا تستطيع الوفاء بأدائها كلمة المصاحبة.

ففي قوله تعالى ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي﴾ {الفجر٢٧– ٣٠} "ثناء وتطمين وتكريم من الله تعالى لهذه النفس المطمئنة إلى طريقها ونهايتها بسبب إيمانها وما قدمته من العمل الصالح ، وحسبها أن يستقبلها الله راضيا عنها راضية عنه، فإذا جاء أمر الله تعالى لها بالدخول كان نهاية التكريم أن تكون هذه النفس في الصدر من هؤلاء العباد يحيطون بها ويحتفون بوفادتها وليست في الحاشية من هؤلاء العباد كما تدل عليه كلمة المصاحبة الموحية بإتباعهم لهم وإلحاقهم بهم، ولعل في تقديم دخولهم في هؤلاء على دخولهم الجنة ما يؤكد هذا التكريم بما يدل على أنهم لم يسبقوا بدخول الجنة، وكأن السابقين من عباد الله الصالحين في انتظارهم قبل دخولها.

ومثله قوله تعالى في دعاء سليمان عليه السلام ﴿ وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ {النمل١٩} فإن منزلة سليمان عليه السلام ومقام الضراعة والرجاء يجعلانه في الصدر من عباده الصالحين وليس مصاحبا لهم ملحقا بهم.

أما قوله تعالى ﴿حتى إذا جاءهم رسلنا يتوفونهم قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين، قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والإنس في النار كلما دخلت أمة لعنت أختها....﴾ {الأعراف٣٧-٣٨} فإن السياق ينبض بالإهانة والتحقير لهؤلاء الكافرين، والسخرية منهم، وممن أشركوهم مع الله آلهة، وتعدية الفعل "ادخلوا" بحرف الظرفية بقوله ﴿ادخلوا في أمم﴾ يوحي بأن المخاطبين يتوارون في غمار الأمم التي كفرت بربها وألقى الله بها في نار جهنم، وهو غني عنهم وعن عبادتهم[٦٧].

ولا يخفى أن التعبير القرآني ﴿ادخلوا في أمم﴾ يوضح شدة عذابهم، وعظيم حقارتهم، فهم في وسط تلك الجموع يقاسون العذاب، والكل يراقبهم ويراهم، وأن عذابهم سيكون على تلك الصفة يوم القيامة مظروفين في وسط الأمم للدلالة [على كثرة الكافرين وحقارة شأن الداخلين فيهم[٦٨]" ولو عبر القرآن بكلمة المصاحبة "مع" بدلا من حرف الظرفية لدل التعبير على أن هؤلاء المعذبين دخلوا النار في صحبة ومعية أمم كثيرة، والمصاحبة في العذاب ربما تخففه لا تزيده.

وإذا كان حرف الظرفية -كما رأيت- قد نشر على سياقه من المعاني التي اقتضاها السياق والمقام، فإن لكلمة المصاحبة ظلالا وأسرارا لا يستطيع أن يؤديها حرف غيره كما في قوله تعالى ﴿ودخل معه السجن فتيان﴾ {يوسف٣٦} فدلت كلمة المصاحبة "مع" على أن دخول هذين الفتيين السجن كان بمعية يوسف مصاحبين له ملحقين به ، ولو رمت حذف "مع" من هذه الآية الكريمة فلن تجد هذه المعاني التي أومأت إليها كلمة المصاحبة من أن دخول الثلاثة السجن في آن واحد[٦٩].

ونشرت الباء بدلالتها على الإلصاق والملابسة على فعل الدخول حين تعدى بها معنى الجماع في قوله تعالى ﴿ وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم﴾ {النساء٢٣}، يقال دخل بعروسه : جامعها، ومعنى دخلتم بهن : جامعتوهن[٧٠]، وهو كناية عن الجماع، وقد أعانت الباء على تحقيق الكناية في قوله ﴿ دخلتم بهن﴾ بما لا يمكن أن تنهض به الحقيقة كما قدرها الزمخشري بقوله [يعني أدخلتموهن الستر[٧١]" مما يدل على قدرة هذه اللغة على الوفاء بآداب الإسلام، وما يوجبه من الترفع عن التصريح بما يستحسن الكناية عنه، إلى جانب ما جسدته الباء بما فيها من اللصوق والملابسة من الدلالة على شدة الارتباط والقرب الروحي، والمخالطة النفسية

بين الزوجين، بما يحقق الغاية من قوله تعالى ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها﴾ {الروم٢١} [٧٢]

الفعل خرج:

الخروج نقيض الدخول، وهو الانتقال من المقر إلى مكان آخر قريب أو بعيد، ويقال: برز من مقره أو حاله، سواء كان مقره دارا، أو بلدا آخر أو....، وسواء كان حاله حالة في نفسه، أو في أسبابه الخارجة[٧٣] ، وقد ورد الفعل "خرج" في بيان القرآن الكريم متعديا بعلى وفي وإلى واللام ومن ومع والباء.

ومعلوم أن حروف الجر تخلع من معانيها الأصلية على الفعل الموصول بها من الأسرار البلاغية التي يبرزها السياق ويتطلبها المقام

على نحو ما يتضح لك في السطور القادمة بإذن الله تعالى وتوفيقه.

لا يخفى أن الفعل حين يعدى بحرف من حروف الجر تختلف دلالته باختلاف الحروف الداخلة عليه.

فهذا الفعل خرج عند تعديته "بمن" دل على ابتداء الخروج كما في قوله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت﴾ {البقرة٢٤٣}، تدل "من" في هذا السياق القرآني على أن أولئك القوم قد ابتدأ خروجهم من ديارهم [بسائق الخوف من عدو مهاجم لا من قلتهم ، فقد كانوا ألوفا "أي كثيرين" وإنما الحذر الذي ولده الجبن في أنفس الجبناء فيريهم أن الفرار من القتال هو الواقي من الموت[٧٤]"

ولو قيل "خرجوا وهم ألوف حذر الموت" لدل التعبير على أن خروجهم كان لملاقاة العدو مع حذرهم من الموت، لكن ما عليه النظم القرآني أبلغ وأدل على المراد، لأن تعدية الفعل "بمن" في قوله ﴿خرجوا من ديارهم﴾ يبرز خورهم وشدة جبنهم، وأن خوفهم من العدو الذي يتسبب عنه موتهم ابتدأ وهم في ديارهم فكان السبب في فرارهم من ديارهم خوفا من ملاقاته، ولذا جيء بمن للدلالة على ابتداء خروجهم من ديارهم فرارا من العدو، وخوفا من الموت.

ونظير هذه الآية قوله تعالى : ﴿ فخرج منها خائفا يترقب...﴾ {القصص٢١} فتعدية الفعل بمن دل على بدء خروج موسى من المدينة خائفا، وأن الخوف كان ملازما له، مستقرا في نفسه، ولذا آثر البيان القرآني التعبير بالاسم " خائفا " للدلالة على ثبوت الخوف واستقراره في نفس موسى عليه السلام، وعبر بالفعل " يترقب " للدلالة على تجدد الترقب وحدوثه حالا فحالا.

وعدي بحرف "اللام" في قوله تعالى ﴿ قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ {الأعراف٣٢} فدل على اختصاص العباد بما أخرج الله لهم من طيبات الحياة الدنيا وزينتها.

وتأمل روعة التعبير القرآني في تعدية الفعل "خرج" بحرف الاختصاص في قوله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس...﴾ {آل عمران١١٠} وما فيه من الإيماء إلى اختصاص هذه الأمة بحراسة الدين وصيانة الكون والحياة من الشر والفساد.

ولعله من الواجب علينا أن نوضح دقة البيان القرآني في استخدام حروف الجر أن نبرز الفرق بين التعبير القرآني "أخرجت للناس" وبين قولنا "أخرجت إلى الناس" فحين عدي الفعل باللام كما في الآية الكريمة دلت اللام على اختصاص هذه الأمة للناس ولأجلهم، وحين يعدى بإلى تدل على أن إخراج هذه الأمة كان منتهيا إلى الناس.

وعدي الفعل خرج بإلى فدل على انتهاء غاية الخروج في قوله تعالى ﴿ ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم﴾ {الحجرات٥} وللزمخشري كلام طيب كشف به سر تعدية الفعل بحرف الانتهاء "إلى" في هذه الآية الكريمة بقوله [فإن قلت : فأي فائدة في قوله "إليهم" قلت : فيه أنه لو خرج ولم يكن خروجه إليهم ولأجلهم للزمهم أن يصبروا إلى أن يعلموا أن خروجه إليهم (٧٥)".

وإلى في هذه الآية " أدل على التأديب وضبط النفس وإحكامها من "اللام" إذ أن حرف الإنتهاء يلزمها بأن لا يبادئوه الحديث حتى ينتهي إليهم وذلك في ضمنه أنه خرج قاصدا لهم، بخلاف اللام التي تبيح لهم مبادأته بالحديث متى علموا أنه خارج من أجلهم، ولو لم ينته إليهم، والأول أحكم في كمال الأدب وأبلغ من اللام، وأعتقد أن الزمخشري ألمح إلى ذلك بقوله "لو خرج ولم يكن خروجه إليهم ولأجلهم" فأفاد بأن "إلى" نهضت بمعنى الحرفين وهو انتهاؤه إليهم وقصده لهم (٧٦)"

وعدي الفعل "خرج" بـ "مع" في قوله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن خرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا...﴾.{الحشر١١} فدل على أن وعدهم بالخروج معهم يوضح زعمهم في نصرتهم وتكثير عددهم والانضمام إلى جيوشهم والقتال معهم.

وحين أراد القرآن تصوير خروج المنافقين في جيش المؤمنين في قوله تعالى ﴿ ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين، لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة..﴾{التوبة٤٦-

٤٧}عدي الفعل بحرف الظرفية في قوله تعالى ﴿ خرجوا فيكم ﴾ ليدل على أن المنافقين يتغلغلون في صفوف المسلمين لإثارة الفتنة بينهم، ويندسون بينهم لتشتيت جمعهم على نحو ما يفصح عنه قوله تعالى ﴿ ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة﴾.

أرأيت كيف كشف القرآن دخائل نفوس المنافقين وفساد طويتهم من خلال تعدية فعل الخروج تارة بفي وتارة بمع، فحين عدي بفي في قوله ﴿ خرجوا فيكم ﴾ دل حرف الظرفية على أن خروجهم سيكون مرضا يسري في أوصالهم، وعيونا تندس فيهم وتتوارى في جيوشهم لإثارة الفتنة وإضعاف كلمتهم وتشتيت صفوفهم، وحين عدي بكلمة المصاحبة "مع" كشف عن زعمهم في تكثير عددهم، والقتال معهم(٧٧).

ولإدراك الرسول صلى الله عليه وسلم حقيقة المنافقين وخروجهم في جيش المؤمنين بأنهم سيكونون عيونا لأعداء المسلمين، ومرضا يسري في أوصالهم حين يخرجون معهم رفض الرسول صلى الله عليه وسلم خروجهم معه في قوله تعالى ﴿ فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا ﴾ {التوبة٨٣}

وعدي الفعل "خرج" بعلى فدل على التعالي والظهور كما في قوله تعالى ﴿ فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون..﴾ {القصص٧٩} فهذه الآية تصف بعض ما عليه قارون من والتكبر والخيلاء، حيث خرج متعاليا على قومه مزهوا بزينته ممتلئا غرورا وتكبرا، ولا عجب في ذلك فقد ذكر المفسرون أنه " خرج على بغلة شهباء عليها الأرجوان وعليها سرج من ذهب ومعه أربعة آلاف على زيه، وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الأحمر وعن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض وعليهن الحلي والديباج، وقيل في تسعين ألفا عليهم المعصفرات(٧٨)"، فحرف الظرفية "في زينته" أعان على إبراز ما عليه قارون من الأبهة والخيلاء والتكبر حيث صوره مكنوفا بأعوانه وأمواله يحيطون به كإحاطة الظرف بمظروفه وقد تعانق في هذا السياق القرآني حرفا الاستعلاء والظرفية لبيان ما عليه قارون من التعالي والتكبر والخيلاء.

وذهب الطاهر بن عاشور إلى القول بالتضمين في هذه الآية الكريمة بقوله [وتعدية الفعل خرج بحرف "على" لتضمينه معنى النزول إشارة إلى أنه خروج متعال مترفع(٧٩)"

ومع أنني لا أتفق مع الطاهر في القول بالتضمين لأنه لا يعدو أن يكون محاولة لتصحيح التعدية، فإني أتفق معه في سر تعدية الفعل بحرف الاستعلاء لأن الطاهر بن عاشور في التماسه لسر التعدية في هذا الموضع كان أكثر استجابة لدواعي النظم وأغراضه البلاغية.

جاء:

فسر اللغويون المجيء بالإتيان، والإتيان بالمجيء[٨٠]،غير أن الراغب استطاع أن يوضـــح ما بينهما من فرق في الدلالة بقوله [المجيء كالإتيان، لكن المجيء أعم، لأن الإتيان مجيء بسهولة، والإتيان قد يقال باعتبار القصد وإن لم يكن فيه الحصول، والمجيء يقـــال اعتبـــارا بالحصـــول، ويقال: جاء في الأعيان والمعاني، ولما يكون مجيئه بذاته وبأمره، ولمن قصد مكانـــا أو عمـــلا أو زمانا[٨١]".

فما ذكره الراغب يعد فرقا دقيقا –لا يستطيع إدراكه إلا من كان مثله في دقة الفهـــم وسعة التبحر في علوم اللغة– غير إن في قوله" لكن المجيء أعم –على إطلاقه– نظرا (لأن بينهما عموما وخصوصا من وجه، فالإتيان أخص من جهة كونه بسهولة، والمجيء أخص من جهة كونه دون سهولة، وبينهما عموم من حيث دلالتهما على مطلق الحركـــة والانتقـــال دون التقييـــد بسهولة أو غيرها[٨٢]"

وليس هدف هذه الدراسة أن تقف على استعمال هاتين المادتين في القـــرآن ومعرفـــة دلالتهما وحسبها أن تشير إلى أن هناك دراسة قيمة تتبعت هـــاتين المـــادتين وفقـــه دلالتـــهما واستعمالهما في القرآن الكريم، وإنما هدفها أن تبرز أسرار تنوع تعدية الفعلين جاء وأتى بحروف الجر المختلفة في هذا الموضع، فالفعل جاء يتعدى بنفسه كما في قوله تعـــالى ﴿ حـــتى إذا جـــاء أحدكم الموت ﴾ {الأنعام٦١} وقوله تعالى ﴿من بعد ما جاءهم البينات﴾ {البقرة٢١٣} وجاء متعديا في البيان القرآني بحروف الجر الباء واللام ومن ومع فتنوعت دلالاته بتنوع معاني حروف الجر التي يومض بها السياق بمعونة القرائن والمقام.

وليس من شك في أن ثمة فرقا بين تعدية الفعل "جاء" تارة بالباء وأخرى بمن أو مـــع أو اللام فحين يقال: جاء بكذا دل على شدة تلبسه به والتصاقه به، وحين قيل: جاء من كـــذا دل على ابتداء مجيئه من هذه الجهة، وحين قيل : جاء لكذا دل على أن المجيء كان لأجله وحين قيل : جاء مع كذا دل على مجيئه بمعية من ذكر.

أرأيت كيف تجدد لهذا الفعل من المعاني بسبب تنوع حروف الجر الداخلة عليه؟.

وإن كنت تشك فيما قلناه فإليك تفصيل هذا الأمر بالأمثلة لتـــزداد نفســـك يقينـــا واطمئنانا به.

فحين عدي فعل المجيء في قوله تعالى ﴿ قل من أنـــزل الكتـــاب الـــذي جـــاء بـــه موسى..﴾ {الأنعام٩١} بحرف الإلصاق دل على شدة عناية موسى بهذا الكتاب وشـــدة تلبسه والتصاقه به وتعلقه.

ولنفس الغرض جاءت الباء في تعدية الفعل بها في قوله تعالى ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها.﴾ {النمل٨٩ } وحين عدي بمن في قوله تعالى ﴿ولما جاءهم رسول من عند الله...﴾ {البقرة١٠١} دل على ابتداء مجيء الرسول من الله تعالى، ومثله قوله تعالى ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى....﴾ {القصص٢٠} فتعدية الفعل بمن دلت على ابتداء مجيء الرجل بأنه من أقصى المدينة.

وحين عدي بكلمة المعية في قوله تعالى ﴿أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك...﴾ {هود١٢} " دل على أن مجيء الرسول وبمعيته ملك من الملائكة يكون شاهدا برسالته، وهم ما قالوا هذا القول إلا بجهلهم بحقائق الأمور وتوهمهم أن الله تعالى يعبأ بإعراضهم ويتنازل لإجابة مقترح عنادهم(٨٣)"

وحين عدي بحرف الاختصاص اللام في قوله تعالى في شأن موسى عليه السلام ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه...﴾.{الأعراف١٤٣} دلت اللام على اختصاص مجيء موسى عليه السلام لتحقيق هذه الغاية، وفي ذلك من الدلالة على حرص موسى عليه السلام بهذا اللقاء وتعلق نفسه وقلبه به، فمجيئه كان من أجل هذه الغاية.

وذهب الزمخشري – وتابعه بعض المفسرين– إلى أن اللام للاختصاص دون أن يكشف في هذا الموضع سر حرف الاختصاص– مع أنه في كثير من المواضع تكون له لمحات موفقة تبرز ما تشيعه حروف المعاني من الأسرار البلاغية في النظم المعجز– حيث يقول : "ومعنى اللام الاختصاص، فكأنه قيل : واختص مجيئه بميقاتنا، كما تقول : أتيته لعشر خلون من الشهر(٨٤)".

ومع أن الشهاب الخفاجي تابع الزمخشري في كون اللام للاختصاص فقد رفض في الوقت ذاته القول بأنها بمعنى عند بقوله [وليست بمعنى عند كما ذهب إليه بعض النحاة(٨٥)"

أما الطاهر بن عاشور فبعد أن ذكر ما ذهب إليه الزمخشري ذكر وجهين أيد في أحدهما ابن هشام في جعل اللام بمعنى عند، وجوز في الثاني جعل اللام للأجل والعلة على تضمين الميقات معنى الملاقاة والمناجاة بقوله "وجعلها ابن هشام بمعنى عند وجعل ذلك من معاني اللام وهو أظهر، ويجوز جعل اللام للأجل والعلة أي جاء لأجل ميقاتنا وذلك لما قدمناه من تضمين الميقات معنى الملاقاة والمناجاة أي جاء لأجل ميقاتنا(٨٦)"

والاقتصار على القول بأن اللام بمعنى عند أو بالذهاب إلى القول بالتضمين لا يعدو أن يكون إلا محاولة من المفسرين لتصحيح المعنى وبيانه دون إيضاح لبيان ما يومض به حرف الاختصاص من أسرار ولطائف في هذا السياق.

وفي هذه الآية الكريمة ينبيء تعدية الفعل "جاء" بحرف الاختصاص عن سر خاص يهدف إليه النظم الحكيم وهو بيان شدة تعلق موسى بهذا اللقاء وحرصه عليه ودأبه في السعي من أجل بلوغه، وهذا لا تستطيع أن تؤديه "عند" أو " إلى"، وفرق كبير بين أن يكون المجيء عند الميقات أو منتهيا إلى الميقات وبين أن يكون لأجل الميقات والحرص على بلوغه.

الفعل أتى:

جاء فعل الإتيان في القرآن بتنوع اشتقاقاته ومواده اللغوية متعديا بنفسه في غالب سياقاته أو متعديا بحرفي الباء والاستعلاء، ويكفينا أن نقف عند مثالين تعدى في أحدهما بالباء، وفي الآخر بحرف الاستعلاء لنرى كيف اختلف معناه بسبب دخول هذين الحرفين عليه؟.

" فالفعل أتى حين يتعدى بنفسه يدل على معنى الوصول إلى المأتي كما في قوله تعالى ﴿حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها﴾ {الكهف٧٧} وقوله تعالى ﴿أتتهم رسلهم بالبينات...﴾ .{التوبة٧٠}

وحين يعدى بحرف الاستعلاء فإنه يكتسب منه الدلالة على شدة وطأة الآتي وما يصحبه من إيقاع بما أتى عليه، وإضرار به يصل إلى حد إفنائه وإبادته كما تراه بوضوح في قوله تعالى ﴿حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ {النمل١٨} ففي هذه الآية الكريمة عكس حرف الاستعلاء الذعر الذي أصاب عالم النمل والأضرار التي لحقت بواديه، وشدة وطأة جند سليمان عليه السلام، وهم يضربون الأرض بأقدامهم في مظاهر للقوة والخيلاء مما حدا برائدة القوم أن تصدر أمرها بالانسحاب من طريقهم، والإيواء إلى مساكنهم، ولعلك تلمس آثار حرف الاستعلاء في قول النملة ﴿لا يحطمنكم سليمان وجنوده﴾.

ونظير هذه الآية قوله تعالى في وصف الريح العقيم ﴿ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾ {الذاريات٤٢}

حيث أشعرت "على" بمعنى الهلاك والإبادة[٨٧]،وقد تضافر التشبيه مع حرف الاستعلاء لإبراز الهلاك والفناء، ولعل التشبيه في قوله تعالى : ﴿جعلته كالرميم﴾ قد أبرز بوضوح معنى الهلاك والإبادة والفناء لأن "الرميم هو الشيء البالي[٨٨]" فالآية الكريمة تصور شدة بطش الريح وهلاكها وإبادتها لكل شيء تقع عليه.

وحين تعدى بالباء في قوله تعالى في شأن مريم البتول عليها السلام

﴿فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا﴾ {مريم٢٧}

فحرف الملابسة والإلصاق "الباء" نشر على السياق من معناه مالا يستطيع أن ينهض به حرف غيره.

فلما جاءت مريم عليها السلام تحمل وليدها على يديها وصدرها آثر القرآن التعبير بحرف الإلصاق ليصور شدة ارتباط الأم بوليدها، وتعلقها به، والتصاقه بها، فما في الباء من الملابسة واللصوق خلعا على السياق من معاني الارتباط الوثيق والالتصاق الشديد ما لا يمكن أن يؤدى بغير الباء.

فالفعل أتى تنوعت دلالته واختلف معناه باختلاف حروف الجر، فحين دخلت عليه الباء دل على شدة الارتباط والتعلق بالمأتي به، وحين عدي بعلى دل على الإبادة والهلاك.

الذهاب:

الذهاب : السير والمضي، يقال ذهب يذهب ذهابا وذهوبا، وذهب الشيء وأذهبه أزاله، ويستعمل ذلك في الأعيان والمعاني[٨٩].

تعددت حروف الجر الداخلة على الفعل ذهب في القرآن الكريم – كالباء وعن وعلى وإلى وتبعا لذلك تنوعت دلالته وأسراره البلاغية على نحو ما نوضحه في الصفحات الآتية بعون الله وتوفيقه:

ورد الفعل ذهب متعديا بالباء في القرآن الكريم في مواضع منها قوله تعالى ﴿ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا يبصرون﴾ {البقرة١٧}

نص النحاة وبعض المفسرين على أن الباء في قوله ﴿ذهب الله بنورهم﴾ للتعدية وقالوا إنها ترادف الهمزة غير أن أبا حيان وضح الفرق بينهما معتمدا في ذلك على ما ذهب إليه أبو العباس المبرد، وأبو القاسم السهيلي، حيث يقول " والباء في نورهم للتعدية.... وهي عند جمهور النحويين ترادف الهمزة فإذا قلت : خرجت بزيد فمعناه "أخرجت زيدا" ولا يلزم أن تكون أنت خرجت، وذهب أبو العباس إلى أنك إذا قلت : "قمت بزيد" دل على أنك قمت وأقمته، وإذا قلت :"أقمت زيدا" لم يلزم

أنك قمت، ففرق بين الباء والهمزة في التعدية، وإلى نحو من مذهب أبي العباس ذهب السهيلي قال : تدخل الباء يعني المعدية حيث تكون من الفاعل بعض مشاركة في ذلك الفعل نحو "أقعدته" و "قعدت به" و "أدخلته الدار ودخلت به" ورد على أبي العباس بهذه الآية ونحوها ألا ترى أن المعنى :أذهب الله نورهم ألا ترى أن الله لا يوصف بالذهاب مع النور، قال بعض أصحابنا : ولايلزم ذلك أبا العباس إذ يجوز أن يكون الله وصف نفسه بالذهاب على معنى يليق به كما وصف نفسه تعالى بالمجيء في قوله ﴿وجاء ربك﴾ {الغجر٢٢}[٩٠]"

وإلى مثل ذلك ذهب الألوسي بقوله " وعدي بالباء دون الهمزة كما في المثل السائر أن ذهب الشيء يفهم منه أنه استصحبه وأمسكه عن الرجوع إلى الحالة الأولى، ولا كذلك "أذهبه" فالباء والهمزة وإن اشتركا في معنى التعدية فلا يبعد أن ينظر صاحب المعاني إلى معـــنى الهمـــزة والباء الأصليين أعني الإزالة،والمصاحبة والإلصاق، ففي الآية لطف لا ينكر،كيف والفاعل هـــو الله تعالى القوي العزيز الذي لا راد لما أخذه ولا مرسل لما أمسكه وذكر أبو العباس أن "ذهبت بزيد" يقتضي ذهاب المتكلم مع زيد دون أذهبته، ولعله يقول : إن ما في الآية مجازا عن شـــدة الأخذ بحيث لا يرد، أو يجوز أن يكون الله تعالى وصف نفسه بالذهاب على معنى يليق به كمـــا وصف نفسه سبحانه بالمجيء في ظاهر قوله ﴿وجاء ربك﴾ [٩١]" والحقيقة التي لا مرية فيهـــا أن هناك فرقا بين تعدية الفعل ذهب بالباء وتعديته بالهمزة.

وقد أوضح الدكتور محمد الأمين الخضري الفرق بينهما من خلال تتبعه لمواطن تعديـــة الذهاب بالباء والهمزة في الذكر الحكيم،كاشفا عن الأسرار البلاغية من وراء تعدية الفعل تـــارة بالهمزة وأخرى بالباء، مقررا بأن القول بأنه لا فرق بين الباء وهمزة التعدية ممـــا لا يلتفـــت إلى دقائق المعاني[٩٢].

وردت مادة الذهاب في القرآن متعدية بالباء في أربعة عشر موضعا بصورة الماضي والمضارع والأمر والمصدر، وهي في هذه السياقات لا تخلو من معنى الاستصحاب سواء كان على سبيل الحقيقة كما في قوله تعالى ﴿فلما ذهبوا به﴾ {يوسف١٥} وقولـــه تعالى ﴿اذهبوا بقميصي هذا ...﴾ {يوسف٩٣} وقوله تعالى ﴿اذهب بكتابـــي هـــذا﴾ {النمل٢٨} أو علـــى سبيل التجوز في الأخذ والإهلاك والإمساك كما في قوله تعالى ﴿ذهب الله بنورهـــــم﴾ {البفرة١٧} وقوله ﴿ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم.{البقرة٢٠} وقوله تعالى ﴿فإما نذهبن بك فإنا منهم منتقمون﴾ {الزخرف١٨}

ومعنى اللصوق والمصاحبة في هذا كله واضح،ولو رحت تستبدل الهمزة بالباء فيها لذهب معها سر البلاغة الذي قصد إليه النظم أو فسد المعنى.

وفي قوله تعالى خطابا لرسوله الكريم ﴿فإما نذهبن بك﴾ أدت الباء بما فيها مـــن معـــنى المصاحبة دورها في إبراز لطف الله وتكريمه لرسوله بمعية ربه،وتأمل كيف يضيع ذلك وينقلـــب إلى معنى الانتقام والأخذ لو قلت : "فإما نذهبنك" بما يدل عليه من التخلي عنه وإضاعته، وهو ما لا يليق بمقام الرسول عند ربه.

أما تعدية الذهاب بالهمزة فقد ورد خمس مرات في صورتي الماضي والمضارع وكلها تدل على إزالة مكروه أو إضاعة مرغوب منها قوله تعالى ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن﴾

{فاطر٣٤} وقوله تعالى ﴿ويذهب عنكم رجز الشيطان ﴾ {الأنفال١١} فهنا دلت الهمزة على الإزالة دون استصحاب الله لفعل الذهاب، لأن المذهوب به شرور لا يليق بذات الله استصحابها، أما في قوله تعالى ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾ {الأحقاف٢٠} فقد دلت الهمزة على أن الكافرين أضاعوا نعيم الآخرة حين أضاعوا طيبات الحياة استمتاعا بها وإفراغا لشهواتهم فيها دون أن يستثمروها لآخرتهم فكانت تجارة بائرة أورثتهم دار البوار[٩٣].

ولنعد إلى آية البقرة ﴿ذهب الله بنورهم﴾ نوضح سر تعدية الفعل بحرف الإلصاق الباء حيث كشف ذلك السيد محمد رشيد رضا بما لا مزيد عليه بقوله" وإنما قال ﴿ذهب الله بنورهم﴾ ولم يقل "ذهب بنورهم" أو "أذهب الله نورهم" للإشعار بأن الله تعالى كان معهم بمعونته وتوفيقه عندما استوقدوا النار فأضاءت،وذلك أنهم كانوا قائمين على سبيل فطرته التي فطر الناس عليها،معتقدين صحة شريعته التي دعا الناس إليها، وأنه تخلى عنهم عندما نكبوا عن تلك السبيل وعافوا ذلك المورد السلسبيل[٩٤]".

وجاء الفعل ذهب: متعديا بإلى في صورتي الماضي والأمر خمس مرات، ومرة واحدة باسم الفاعل في قوله تعالى ﴿ وقال إني ذاهب إلى ربي سيهدين﴾ {الصافات٩٩}.

وأعتقد أنك لست في حاجة إلى كبير عناء في إدراك السر البلاغي لتعدية فعل الذهاب بإلى في مواطن وروده ومنها قوله تعالى ﴿ثم ذهب إلى أهله يتمطى﴾ {القيامة٣٣} وقوله تعالى خطابا لموسى عليه السلام ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ {طه٤٣} فقد دل حرف الانتهاء إلى انتهاء سير المخاطب إلى غايته، في الآية الأولى دل حرف الانتهاء إلى أن الذهاب كان منتهيا إلى أهله، وفي ذلك من الدلالة على أن الرجل قد جعل أهله غاية يسعى إليها وتنتهي رحلته إليها.

وفي الثانية يأمر الله عز وجل موسى عليه السلام أن يجعل منتهى غايته الوصول إلى فرعون لدعوته لعبادة الله سبحانه وتعالى.

وجاء الفعل ذهب متعديا بعن في القرآن كما في قوله تعالى ﴿فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا في قوم لوط...﴾{هود٧٤} فاكتسب الفعل بتعديته بحرف المجاوزة "عن" معنى انصراف الروع وتجاوزه وابتعاده عنه كلية على نحو ما يومئ إليه التعبير القرآني من خلال تصوير الروع "الخوف" بصورة إنسان قد انصرف عن إبراهيم عليه السلام وتجاوزه إلى غيره وفي ذلك من الدلالة ما فيه من تطمين إبراهيم عليه السلام وتسكين فؤاده بحيث لا يخفى، كما أن في تقديم الجار والمجرور "عن إبراهيم" على الفاعل "الروع" دليلا

على تعجيل المسرة إلى نفس إبراهيم بانصراف الخوف وتجاوزه، مع ما في تأخير ماحقه التقـــديم من ترقب النفس وتطلعها إليه فحين يرد عليها يتمكن منها فضل تمكن[(٩٥)]

ونظير الآية السابقة قوله تعالى ﴿ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مســـته ليقـــولن ذهـــب السيئات عني إنه لفرح فخور﴾ {هود١٠}

فتعدية الفعل "ذهب" بحرف المجاوزة "عن" دال على انصـــراف الســـيئات وتجاوزهـــا عنه،كما أنه في الوقت ذاته يكشف غرور هذا الإنسان وبطره واغتراره حـــين يتـــيقن تجـــاوز السيئات وانصرافها عنه عقب ما أفاضه الله عليه من نعمائه التي كانت تستلزم منه شكر مـــن جاد بها عليه لكنه قابل الإحسان بالجحود غرورا منه بنفسه "إنه لفرح فخور" أي بطر وأشـــر بالنعم مغتر بها فخور على الناس بما أوتي من النعم مشغول بذلك عن القيام بحقها[(٩٦)].

الخاتمة :

بعد هذه الرحلة المباركة التي عشنا فيها مع القرآن الكريم دراسة وتدبراً لبعض آياته الكريمات يمكن إيجاز أهم النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسة منها :

١–أن لتعدية الفعل بحروف الجر في البيان القرآني أهمية عظمى وأثراً كبيرا في إبراز مقاصد التعبير القرآني .

٢–أن الفعل حين يعدى في القرآن الكريم بحروف الجر المتعددة يكتسب معها الفعل من الدلالات التي تتنوع بتنوع معاني حروف الحر الداخلة عليه .

٣–أن حروف الجر بتنوع معانيها حين تدخل على الفعل تستطيع قلب دلالاته إلى النقيض فبصير للفعل الواحد معان متعددة بسبب اختلاف دلالة حرف الجر الذي تعدى به الفعل .

٤–أن القرآن الكريم حين يؤثر تعدية الفعل بحرف ما من حروف الجر في موضع بعينه يكون هذا الرف قادراً على الوفاء بمقاصد القرآن الكريم بحيث لا يستطيع غيره من حروف الجر أن ينهض بما يؤديه ذلك الحرف .

٥–أن إدراك ما تشي به حروف الجر المتنوعة من الأسرار واللطائف التي تخلعها على الأفعال الداخلة عليها تحتاج من الدارس للوقوف عليها إلى مكابدة ومعاناة وطول تأمل .

والحمد لله أولا وأخيراً وصلىالله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

الهوامش والتعليقات

(١) بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٣٢ وما بعدها.

(٢) المصدر السابق ص ٣٣

(٣) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٢٨٢/٢ وما بعدها

(٤) ستقتصر هذه الدراسة على دراسة تنوع تعدية الفعل بحروف الجر فقط سواء كان لازما أو متعديا إلى مفعـــول ثم تعديته بحرف الجر إلى المفعول الثاني.

(٥) انظر النحو الوافي لعباس حسن ٢/١٥٥ وما بعدها وراجع المفصل للزمخشري ص ٢٥٧ وما بعدها والتبصـــرة والتذكرة للصيمري ١٠٥/١، ١٠٩–١١٠ ومغني اللبيب لابن هشام ص ٦٧٨.

(٦) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني تحقيق عدنان صفوان داوودي ٣٥٨

(٧) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم للدكتور محمد الأمين الخضري ص ٨ (٨)الكشاف ٢٤٦/٢

(٩)التحرير والتنوير ٣٠/١٥

(١٠) انظر من أسرار حروف الجر ص ١٤٦ وما بعدها

(١١) المرجع السابق ص ١٢

(١٢) انظر تأويل مشكل القرآن تحقيق السيد صقر ص ٥٦٦– ٥٧٦ وأدب الكاتب لابن قتيبة تحقيق محمـــد محـــي الدين عبد الحميد ٣٩٤– ٤١٥.

(١٣) انظر الأزهية للهروي ومعاني الحروف للرماني، وحروف المعاني للزجاجي، ورصف المباني للمالقي ومغني اللبيب لابن هشام

(١٤) الجني الداني للمرادي ص ٤٦ وانظر الخصائص لابن جـــنى ص ٣٠٦/٢– ٣١١ وبـــدائع الفوائـــد ٢١/٢ والاقتضاب للبطليوسي ٢٦٢/٢–٢٦٤

(١٥) هذا صدر بيت لجرير وعجزه فمضيت ثم قلت لا يعنيني

(١٦) مغني للبيب ص ١٣٨

(١٧) البحر المحيط ٦٨/١ ولمزيد من نلك انظر تفسير قوله تعالى "يؤمنون بالغيب" في الكشاف ١٢٦/١ والبحـــر المحيط ٣٨/١ والفتوحات الإلهية ٥٤/١

(١٨) من أسرار حروف الجر ص ١٩٧ وما بعدها

(١٩) انظر الأزهية(٢٨٣، ٢٧٧–٢٨٨) ورصف المباني(٤٣٤، ٢٩٧، ٢٢٢) ومعاني الحروف للرمـــاني(٩٤، ٣٦) وكتاب حروف المعاني للزجاجي ص ٧٤–٨٧ و مغني اللبيب(٢٧٤، ١٣٧) وما بعـــدها وجـــواهر الأدب للإربلي ٤٢ وما بعدها ،(٣٦٥–٤٦٢)

(٢٠) أنظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٦٦٤ وعدي بعلى في البقرة ، ٢٥٩وهود ،٣٨ والصـــافات ١٣٧ ويوسف ١٠٥، والباء في الأعراف ١٨٩، والفرقان ٧٢، والمطففين ٣٠.

(٢١) بيان إعجاز القرآن للخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٣٢

(٢٢) المفردات ص ٣٧٤ وما بعد ها

(٢٣) المفردات ٣٧٣ و انظر ص ٣٥٨

(٢٤) انظر من أسرار حروف الجر ص ١٠٠

(٢٥) الكشاف ٢٣٧/٣

(٢٦) انظر من أسرار حروف الجر ص ١١

(٢٧) الكشاف ١٤٤/٤

(٢٨) انظر من أسرار حروف الحرص ٩٨ وما بعدها

(٢٩) الكشاف ١٩٦/٤ وللاستزادة من ذلك انظر البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ٢٩٦– ٢٩٨ والكشاف ١٩٩/٢، ٥٥٦/٢، ٣١، ٢٣٥/٣ وراجع قوله عند تفسير قوله تعالى "وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين" وهو وإن كان ليس من باب تعدية الفعل فهو يوضح بجلاء جهد الزمخشري في إدراكه للفروق الدقيقة بين حروف الجر وما تومض به من الدلالات البلاغية المتنوعة "فإن قلت كيف خولف بين حرفي الجر الداخلين على الحق والضلال؟ قلت لأن صاحب الحق كأنه مستعل على فرس جواد يركضه حيث يشاء، والضال كأنه منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه" الكشاف ٢٨٩/٣ وراجع تفسيره لقوله تعالى "أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين " الكشاف ٦٢٣/١

(٣٠) التفسير الكبير ٣٥/٢

(٣١) التفسير الكبير ٢٣/٣

(٣٢) انظر من أسرار حروف الجر ص ٩٧

(٣٣) التفسير الكبير ١٧٦/٣

(٣٤) المصدر السابق ٦١/١٣ وانظر ٣٧/٢، ٧٦/٢، ٢٣/٣، ٥٣/٥

(٣٥) البحر المحيط ٥١٦/٢ وما بعدها

(٣٦) !البحر المحيط ٣٤٥/٣ وما بعدها

(٣٧) انظر من أسرار حروف الجر ص ٩٣

(٣٨) البحر المحيط ٢٤/٥

(٣٩) البحر المحيط ٣٢٤/٦

(٤٠) انظر من أسرار حروف الجر ص ١١٣

(٤١) حاشية الشهاب ٢٢٢/٤

(٤٢) حاشية الشهاب ٢٢٢/٤

(٤٣) من أسرار حروف الجر ص ١٣٦

(٤٤) حاشية الشهاب ٣٣٥/٨ وللاستزادة انظر ٢٩٢/١، ٣٧٢/١، ١٩٤/٢، ٢٨٦/٢، ١٥٧/٤، ١٨٤/٤، ٢٨٦/٤، ٢٧/٥

(٤٥) انظر من أسرار حروف الجر ص ٩٤

(٤٦) روح المعاني ١٣٢/٤ وانظر ١٥٧/٦

(٤٧) روح المعاني ١٤٤/١٤

(٤٨) من أسرار حروف الجر ص ١٣٣

(٤٩) روح المعاني ١٦٥/٤

(٥٠) روح المعاني ١٣٥/١٧ و انظر ٤٧/٢، ٢٤١/١٣ وما بعدها، ١٥٢/١٤، ٢٠٨/١٦، ٣٠/٢٩

(٥١) من أسرار حروف الجر ص ١٣٧

(٥٢) التحرير والتنوير ٢٩١/١

(٥٣) التحرير و والتنوير ٤٩٤/١

(٥٤) من أسرار حروف الجر ص ١٦٧

(٥٥) التحرير و التنوير ٩٨/٢

(٥٦) التحرير والتنوير ٩/ ١٠٤

(٥٧) المصدر السابق ١٦/ ٣٢٥ وللاستزادة انظـــر ١/ ٣١٠ ثم ٢١/٢، ٢٧٧/٢، ٣٨٥/٢، ٣٦/٨، ١٣٣/٨، ٩٠/٩، ١٢٩/٣٠، ١٩٠/٣٠

(٥٨) ستقوم الدراسة باختيار بعض الأفعال مراعية إما ما بينها من تناسب أو تضاد

(٥٩) انظر المفردات ص ٣٠٩

(٦٠) التحرير والتنوير ٢٧٥/٢

(٦١) الاقتضاب في شرح أدب الكتاب ٢٨٢/٢ وما بعدها

(٦٢) انظر الكشاف ٤١٧/١

(٦٣) انظر المعجم المفهرس ٢٥٣ وما بعدها وسورة يوسف الآية ٨٨ ، ٩٩

(٦٤) انظر الكشاف ٣٥٣/١ والتفسير الكبير ٣٢٤/٥ وتفسير المنار ٢٥٦/٢

(٦٥) انظر نظم الدرر ١٧٩/٣ والتحرير والتنوير ٢٧٧/٢ وتفسير المنار ٢٥٦/٢

(٦٦) الأزهية ص ٢٦٨ وراجع التفسير الكبير ٧٧/١٤ والبحر المحيط ٢٩٥/٣

(٦٧) انظر من أسرار حروف الجر ص ١٥٥ بتصرف يسير

(٦٨) المرجع السابق ص ١٥٦

(٦٩) راجع نظم الدرر ٨٠/١٠

(٧٠) انظر معجم ألفاظ القرآن الكريم ٣٩٧/١ وما بعدها

(٧١) الكشاف ٥١٧/١

(٧٢) الروم ٢١ وانظر من أسرار حروف الجر ص ١٧٤ وما بعدها

(٧٣) المفردات ٢٧٨/١ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٣٣٧/١، ومعجم مقاييس اللغة ١٧٥/٢ واللسان ١١٢٥/٢ مادة "خرج"

(٧٤)تفسير المنار ٤٥٧/٢

(٧٥) الكشاف ٥٥٩/٣

(٧٦) من أسرار حروف الجر ص ٢٧٦

(٧٧) انظر أسرار حروف الجر ص ١٥٧، والتحرير والتنوير ٢١٧/١٠ وتفسير المنار ٤٧٢/١٠

(٧٨) انظر الكشاف ١٩١/٣ والتفسير الكبير ١٨/٢٥ والبحر المحيط ١٣٤/٧

(٧٩) التحرير والتنوير ١٨٣/٢٠

(٨٠) انظر مادة جاء في اللسان ٧٣٥/١ ومعجم مقاييس اللغة ٤٩٧/١ والصحاح ٤٢/١ ومعجم ألفاظ القـــرآن الكريم ٦/١، ٢٣٥/١

(٨١) المفردات ص ٢١٢

(٨٢) الإتيان والمجيء وفقه دلالتهما واستعمالهما في القرآن الكريم للدكتور محمود موسى حمدان ص ١٣ وما بعدها

(٨٣) ينظر التحرير والتنوير ١٨/١٢

(٨٤) الكشاف ١١١/٢ وينظر البحر المحيط ٣٨١/٤ وروح المعاني ٤٤/٩

(٨٥) حاشية الشهاب ٢١٣/٤

(٨٦) التحرير والتنوير ٩٠/٩

(٨٧) من أسرار حروف الجر ١١٤ وما بعدها

(٨٨) المفردات ٣٦٥

(٨٩) راجع مادة ذهب في معجم مقاييس اللغة ٢٦٢/٢ والصحاح واللسان ١٥٢٢/٣ والمفردات ص ٣٣٢ ومعجم ألفاظ القرآن الكريم ٤٤٧/١

(٩٠) البحر المحيط ٧٩/١ وما بعدها

(٩١) روح المعاني ١٦٥/١ وما بعدها

(٩٢) انظر من أسرار حروف الجر ص ١٦٨-١٧١

(٩٣) من أسرار حروف الجر ص ١٦٨-١٧١

(٩٤) تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار ١٧١/١ ويراجع التحرير والتنوير ٣١٠/١

(٩٥) انظر تفسير أبي السعود ٧١/٣

(٩٦) المصدر السابق ١٦/٣ وانظر التحرير والتنوير ١٤/١٢

المصادروالمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: المصادر والمراجع

١- الإتيان والمجيء فقه دلالتهما واستعمالهما في القرآن الكريم، للدكتور محمود موسى حمـدان (الطبعـة الأولى ١٤١٨هـ ١٩٩٨م) – مكتبة وهبة بالقاهرة–.

٢- أدب الكاتب لابن قتيبة الدينوري، تحقيـق محمد محي الدين عبد الحميد (الطبعة الرابعة ١٣٨٢هـ) – مطبعة السعادة بمصر –

٣- الأزهية في علم الحروف للهروي، تحقيق عبد المعين الملوحي (١٤١٣هـ – ١٩٩٣م) – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق –

٤- الاقتضاب في شرح أدب الكتاب للبطليوسي ، تحقيق مصطفى السقا والدكتور حامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م) – دار التراث بالقاهرة –

٥- بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية، (دار الكتاب العربي – بيروت) – بدون تاريخ –

٦- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، للدكتور محمد أبو موسى (الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م) – مكتبة وهبة بالقاهرة –

٧- بيان إعجاز القرآن للخطابي، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله والـدكتور محمـد زغلول سلام، (الطبعة الرابعة ١٩٩١م) – دار المعارف –

٨- تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة الدينوري، تحقيق السيد أحمد صقر (الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ – ١٩٧٣م) – دار التراث بالقاهرة –

٩- التبصرة والتذكرة للصيمري، تحقيق الدكتـور فتحي أحمد علي الدين (الطبعـة الأولى ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م) ، مطبوعات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

١٠- تفسير أبي السعود العمادي الحنفي، تحقيق عبد القادر عطا (١٤٠١هـ – ١٩٨١م) مطبعـة الريـاض الحديثة –

١١- تفسـير البحـر المحـيط لأبي حيـان الأندلسـي، (الطبعـة الثانيـة ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣/) – دار الفكر – بيروت –

١٢- تفسير التحرير والتنوير للشيخ محمد الطاهر بن عاشور، ١٩٨٤م ، الدار التونسية للنشر

١٣- تفسير الفتوحات الإلهية للجمل، طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر – بدون تاريخ .

١٤- التفسير الكبير للفخر الرازي، طبع دار الفكر بيروت بدون تاريخ.

١٥- تفسير المنار للسيد محمد رشيد رضا، (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م) – دار المعرفة – بيروت .

١٦- الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة (١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م) – دار الآفاق الحديثة بيروت –

١٧- جواهر الأدب في معرفة كلام العرب للإربلي، تحقيق الدكتور حامد أحمد نيـل (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م) توزيع مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة –

١٨- حاشية الشهاب المسماة عناية القاضي وكفاية الراضي للشهاب الخفاجي (دار صادر – بيروت) – بـدون تاريخ –

١٩- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق محمد علي النجار (الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) –

عالم الكتب – بيروت –

٢٠– رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي، تحقيق الدكتور محمد أحمد الخراط (الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ) – دار القلم – دمشق –

٢١– روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني للألوسي، إدارة الطباعة المنيرية – دار إحياء التراث الإسلامي بيروت – بدون تاريخ –

٢٢– الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار (الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م)

٢٣– كتاب حروف المعاني لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق الدكتور علي توفيق الحمد، (الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ) – مؤسسة دار الرسالة بيروت ودار الأمل بالأردن .

٢٤– كتاب معاني الحروف للرماني، تحقيق الدكتور عبد الفتاح شلبي (الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ – ١٩٦٨م) مكتبة الطالب الجامعي بمكة

٢٥– الكشاف لجار الله محمود بن عمر الزمخشري، دار الفكر بيروت – بدون تاريخ .

٢٦– لسان العرب لابن منظور، طبعة دار المعارف بدون تاريخ.

٢٧– معجم ألفاظ القرآن الكريم، إصدار مجمع اللغة العربية بمصر، (الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م) الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢٨– المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وضعه محمد فؤاد عبد الباقي (١٩٨٤م) – المكتبة الإسلامية – استانبول تركيا .

٢٩– معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق عبد السلام محمد هارون (الطبعة الثانية ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م) – مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده بمصر .

٣٠– مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري، تحقيق الدكتور مازن المبارك وآخرون (الطبعة الخامسة ١٩٧٩م) – دار الفكر بيروت .

٣١– المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق محمد سيد الكيلاني (الطبعة الأخيرة ١٣٨١هـ – ١٩٦١م) – مطبعة مصطفى الكبابجي الحلبي

٣٢– مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان داوودي (الطبعة الثانية ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م) – دار القلم دمشق، الدار الشامية بيروت.

٣٣– المفصل في علم العربية للزمخشري، الطبعة الثانية . دار الجيل بيروت – بدون تاريخ .

٣٤– من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم للدكتور محمد الأمين الخضري، (الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م) – مكتبة وهبة .

٣٥– النحو الوافي لعباس حسن، (الطبعة الرابعة بدون تاريخ) – دار المعارف بمصر .

٣٦– نظم الدرر في تناسب الآي والسور للبقاعي، (الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ – ١٩٧٦م) – دائرة المعارف العثمانية – (الطبعة الثانية ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م) – دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.